أسس العلاقات العامة
في الإسلام

بقلم

دكتور

علي علي علي شاهين

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد

بكلية أصول الدين - بالقاهرة

(١٦ — حولية كلية أصول الدين)

إننا نسمع فى العصر الذى نعيش فيه بمادة جديدة من مواد الإعلام هى مادة « العلاقات العامة » ، غير أن هذه المادة إنما تعد جزءاً من علم أوسع هو علم العلاقات الإنسانية ، ما أحوج رجال الدعوة الإسلامية إليها فى عصرنا هذا ، وعلى ذلك ، فلا نبالغ إذا قلنا إن الرسول ﷺ وصحابته هم الذين وضعوا النواة الأولى لفن العلاقات الإنسانية بشقيها ، أعنى العلاقات الخارجية والداخلية .

ولعل أكبر شاهد على ما نقول هو أن رسول الله ﷺ بدأ رسالته بدعوة أهله وعشيرته إلى الإسلام ؛ وذلك عملا بقوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين » [الشعراء آية ٢١٤] . وكان ذلك فى مرحلة سرية الدعوة ، ثم بدأ المرحلة العلنية بدعوة بنى هاشم ، فقريش ثم كانت الهجرة للدعوة إلى الله فى المدينة المنورة .

« ولقد نجح علماء الإعلام حين شبهوا ممارسة العلاقات الإنسانية على النحو الذى صنعه الرسول — أعنى البدء بالإعلام الداخلى ثم الخارجى — بالحجر يلقى به فى الماء فيحدث فيه حركات شديدة ، وإذا بدوائر أو حلقات من الأمواج تتكون حول الحجر ، تنبت صغيرة ثم تتسع شيئاً فشيئاً »[1] .

وعلى هذا فالرسول ﷺ أرسى منذ أربعة عشر قرناً قواعد العلاقات الإنسانية التى تفيد أن الإعلام الداخلى ينبغى أن يسبق الإعلام الخارجى ،

على أن العلاقات الإنسانية لا تنشأ إلا فى جو ثقافى وحضارى يؤمن

---

(١) الإعلام فى صدر الإسلام — د / عبد اللطيف حمزة ص ٩٤ ط ثانية ١٩٧٨ — دار الفكر العربى بتصرف .

بقيمة الإنسان من حيث هو إنسان له كرامته ، عليه واجبات وله حقوق، وصدق الله العظيم إذ يقول : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » [الإسراء آية ٧٠].

فلا عجب بعد ذلك فى مجتمع كهذا أن يكون مبدأ الشورى هو المبدأ الذى يهيىء للرأى العام جواً من المحبة التى أشربت جو الإخاء والمساواة، فأصبحت التربة الإسلامية صالحة لإنبات شجر العلاقات الإنسانية ، ذلك الشجر الذى يظهر جناه متمثلا فى الإخاء والمساواة ، أما على الصعيد الخارجى ، فقد كان التمثيل الدبلوماسى الناجح انعكاساً لنجاح العلاقات الإنسانية الداخلية ، وقد تمثل هذا النجاح فى بعثات النبى ﷺ إلى الأمراء والملوك المجاورين .

ولعل ما يدعم ماذهبنا إليه يتمثل فى الآتى :

١ — أن الرسول ﷺ كان يحسن استقبال الوفود العربية القادمة إلى المدينة للدخول فى الإسلام .

٢ — أن الرسول ﷺ قد أوجد نوعاً من التآخى بين المهاجرين والأنصار منذ هاجر إلى المدينة المنورة .

٣ — أنه ﷺ قد أوجد نوعاً من العلاقات الإنسانية بينه وبين اليهود المقيمين فى المدينة ويتمثل ذلك فى إبرام المعاهدات ، بقصد التعايش السلمى معهم .

٤ — أنه ﷺ أرسل الوفود إلى أمراء العرب حرصاً على توطيد العلاقات الدبلوماسية بينه وبينهم .

٥ — أنه ﷺ قد تزوج من بعض القبائل ، حتى يؤلف قلوبهم ،

وعلى هذا ، فلم يكن تعدد زوجاته ﷺ نوعا من الميل إلى حقل الشهوانية — وحاشاه صلوات الله وسلامه عليه — فهو مكلف بأداء رسالة من أخص خصوصيتها ، الإيمان بوحدانية الله عبر مجموعة من العلاقات الإنسانية التى تمهد لهذه العقيدة .

وحيث إن كل عصر يسير فى اتصاله بمن حوله ، حسبما أتيح ليد التقدم فيه من جهد ؛ فإن وسائل الإعلام كانت تتمثل فى العصر الجاهلى وعصر صدر الإسلام فى الخطابة والشعر والندوات والزيارات الرسمية ، كالتى قام بها سيدنا عمر بن الخطاب إلى الأقاليم الإسلامية من حين لآخر ؛ رغبة منه فى الوقوف على أخبار الرعية من جهـــة ، وتوطيد العلاقات الإنسانية بين المسلمين وولاتهم من جهة أخرى .

وإذا كانت المؤسسات تنقسم إلى :

(أ) مؤسسات حكومية أو أهلية تهدف إلى الأرباح المالية كالبنوك والشركات التجارية .

(ب) مؤسسات لا تهدف إلى الربح المالى كالمستشفيات والمبرات وما إلى ذلك ؛ وإذا كان ذلك كذلك ؛ فإن المنظمات الفكرية أو الفرق المذهبية ينبغى أن تكون من النوع الثانى ، ومن ثم كانت دعوة الرسل ، عليهم السلام ، لا لكسب مالى وإنما لتبليغ رسالة الله ، يقول سيدنا نوح عليه السلام : « ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله» هود/٢٩

بقى أن نستشهد ببعض الأمثلة على هذه العلاقات الإنسانية التى زاولها الرسول ﷺ وقام بها بعض الخلفاء من بعده . ونذكر منها على سبيل المثال :

١ — طريقة إرسال القراء والفقهاء إلى القبائل حديثة الإسلام لشرح تعاليم الإسلام وتفسير آى القرآن، وتقوية الروابط بين أفراد القبائل والنبى ﷺ ورسالته من ناحية، ثم بينهم وبين بقية المسلمين من ناحية ثانية.

وقد كانت حكمة ناجحة منه ﷺ، وُفِّق فيها الصحابة رغم أنها مهمة محفوفة بالمخاطر، إذ إنه لما علم أعداء الله بهـذا المنهج القويم، دأبوا فى الوصول إلى طريقة يعرقلون بها مسيرة الدعاة، ونذكر من ذلك «تلك المذبحة الأليمة، التى راح ضحيتها سبعون قارئاً، فى مكان يقال له «بئر معونة»، وتعرف بسرية القراء، التى لم ينج منها إلا كعب بن زيد، وعمرو ابن أمية، وكان وجده ﷺ لهذا الحادث شديداً، وحزنه عميقاً»[1].

٢ — المصاهرات التى عقدها ﷺ مع بعض الصحابة من جانب، وبعض القبائل العربية من جانب آخر، فقد أصهر إلى أبى بكر وعمر وعثمان، كما أصهر إلى بعض القبائل، كما حدث من زواجه ﷺ بالسيدة جويرية بنت الحارث بعد أن أسرت فى غزوة بنى المصطلق سنة خمس من الهجرة المباركة، وكان من آثار هـذا الزواج أن أعتق صحابته ﷺ ما تحت أيديهم من أسرى هذه الغزوة إكراماً لمصاهرة النبى ﷺ لبنى المصطلق[2].

---

(١) راجع: السيرة النبوية — ابن هشام — قدم لها وعلق عليها وضبطها / طه عبد الرؤف سعد جـ ٣ ص ١٠٣، ١٠٤ — مكتبة الكليات الأزهرية.

زاد المعاد فى هدى خير العباد — ابن قيم الجوزية جـ ٢ ص ١٠٩، ١١٠ — المطبعة المصرية ومكتبتها، وبئر معونة حدثت فى صفر سنة أربع الهجرة.

(٢) السيرة النبوية جـ ٣ ص ١٨٦

٣ — ما كان من أمر سيدنا عمر بن الخطاب حين أجرى الصدقة على فقراء اليهود، وما موقفه مع الشيخ اليهودى مكفوف البصر عنا ببعيد، حيث قال فى ذلك: «ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم»[1].

وما موقفه حين مر فى دمشق بقوم مجذَّمين من النصارى فأمر بإعطائهم من الصدقات، وأن يجرى عليهم القوت عنا ببعيد كذلك[2].

أترانا — بعد هذا كله — نصمت أمام زعم بعض المؤرخين حين قالوا: إن العلاقات العامة الإنسانية لم توجد إلا بقيام الثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى.

إننا لسنا فى حاجة إلى إنفاق مداد القلم فى الرد على هؤلاء، فإن نظرة متأنية فى قـوله ﷺ «الدين المعاملة»[3]، وإن وقفة متسمة بالحياد والموضوعية أمام هذا الحديث، تبين أن الرسول ﷺ جعل جماع الدين فى كلمة واحدة وهى «المعاملة»، بكل ما يندرج تحتها من أخلاق.

فإن عاند بعد ذلك معاند فحسبه قول القائل فى البيت السائر:

ما ضر شمس الورى فى الأفق طالعة
أن ليس يبصرها من ليس ذا بصر

(١، ٢) راجع: عبقرية عمر، عباس محمود العقاد — ص ١٢١ ط ١٩٦٩ م.

(٣) كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال — علاء الدين الهندى جـ ٢ ص ٦٢٢ — مؤسسة الرسالة.

هذا وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يدور الحديث فيه حول محورين هامين :

أولا : العلاقات العامة فى المنظور الإسلامى .

ثانيا : أسس العلاقات العامة فى الإسلام .

أولا : العلاقات العامة فى المنظور الإسلامى :

من الأخطاء الشائعة بين كثير من الناس ، أن يظن بعضهم أن علم العلاقات العامة ، أو بالأحرى فن العلاقات العامة فن جديد ، ظهر فى السنوات القريبة الماضية ، أو على الأكثر مع قيام الثورة الفرنسية ، والحقيقة أن العلاقات العامة فن قديم قدم الإنسان نفسه ، وإن لم يكن قد سمى بهذا الاسم ، وإنما بدأ الاهتمام بهذا الفن ودراسته وتقنينه وممارسته على أسس علمية صحيحة وسليمة فى بدايات القرن العشرين ، ثم تزايد الاهتمام به تدريجياً مع تطور العلم ودخول العصر فيما يسمى بعصر ثورة الاتصالات حيث بدأت النظرة المادية تطغى على ما عداها ، وساد الاتجاه المادى وسيطر على كل شىء حتى بدا سمة العصر ، فأصبح عصر الآلة ، وبدأ الإنسان نفسه يفكر بطريقة آلية ، وأدى هذا إلى انقطاع الصلات بين الناس ، غير أنه بعد وقت من الزمن ، تنبه المفكرون والعلماء إلى أن الإنسان مع كونه قد حصل على مكاسب مادية ، يفتقر إلى الروحانيات وبدأ يخسر خسائر معنوية كبيرة .

فى مثل هذه الظروف السابقة — والتى سادت دول العالم المتحضر — وجد التفكير فى تطوير فن العلاقات العامة ، وتقنينه ودراسته ، آذانا صاغية ، ولاقى قبولا بل رواجا لدى الجماهير ولدى المؤسسات المختلفة داخل المجتمعات ، ويجدر بنا أن نشير إلى أن التفكير فى ممارسة العلاقات

العامة على أسس علمية ، كان فى معظم صوره أيضاً باندفاع من التفكير المادى ، لتحسين صورة مؤسسه ما فى أعين الجماهير ، حتى تحصل على الرضا والتأييد ، وبالتالى يؤدى هذا إلى زيادة مكاسبها المادية ، كما تمارس العلاقات العامة لتغيير صورة مرشح انتخابى حتى يحصل على رضا الجماهير ، وبالتالى يفوز فى الانتخابات ، وهذه أنواع من الممارسة الخاطئة للعلاقات العامة ، حيث يجب أن تمارس لخدمة أهداف أسمى من تلك الأهداف المادية ، ويجب أن تكون النظرة إليها أوسع من ذلك ، فهى فن التعامل بين الأفراد ، ويجب أن تسخر لخدمة البشرية خدمة حقيقية ، تهدف إلى نشر المحبة والمودة ، وسيادة روح التفاهم والتعاون بين البشر .

وقد ظهر فن العلاقات العامة ، مع وجود الإنسان على وجه الأرض ، يقول الدكتور إبراهيم إمام « وينبغى الإشارة إلى أن العلاقات العامة ليست ابتكاراً جديداً ، فالعلاقات العامة وجدت منذ وجد الإنسان ، وكل فرد له علاقاته العامة ، أى علاقاته بالناس وبالهيئات ، وبالمؤسسات سواء رضى أو كره ، فالعلاقات العامة كائنة ، ولا بد من وجودها ، فهى كالتنفس سواء بسواء . لا بد للإنسان أن يتنفس هواء ، ولكنه يستطيع أن يتنفس هواء نقيا ، ويستطيع أن يتجنب الهواء الفاسد ، ولن يتأتى لامرىء أن يهرب من علاقاته العامة ، اللهم إلا إذا سكن الجبال ، أو اعتكف فى الكهوف كما يفعل الزهاد »[1] .

وهذا يدلنا على أن العلاقات العامة ليست فناً حديثاً ، ولكن الحديث هو مسميات العصر الذى نعيشه — ورغم ذلك فإن بعض أساتذة

(١) دكتور إبراهيم إمام ، العلاقات العامة والمجتمع ، الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٨

الإعلام فى العصر الحديث ، يحدد أهداف ووظائف العلاقات العامة فى بعض المهمات المختصة بالمصالح الرسمية ، والربح المادى كما ذكرنا ، فيقول البعض عن العلاقات العامة إنها « ذات مفهوم واسع يضم جمهوراً داخلياً يتكون من العمال والمستخدمين والمسهمين ، وجمهوراً خارجياً يضم الموردين والموزعين والمستهلكين ، وما إليهم من الجماهير التى قد تتصل بالسلعة أو بالخدمة بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، ولهذا يغطى نشاط العلاقات العامة كلا من ألوان النشاط والرعاية الداخلية إلى جانب ألوان الإعلام والاتصال الجماهيرى الخارجى ، بما فيه المجتمع المحلى والهيئات والسلطات الحكومية »[1] .

ويعرف البعض العلاقات العامة أيضاً بأنها[2] : « عبارة عن الجهود المقصودة والمستمرة والقائمة على خطط من أجل الوصول إلى التفاهم بين مؤسسة ما ، وبين الجماهير التى تتعامل مع هذه المؤسسة » . وثمة تعريف آخر يقول : « إنها نشر المعلومات والأفكار والحقائق مشروحة مفسرة للجماهير ، وكذلك نقل المعلومات والآراء والحقائق من الجماهير إلى المؤسسة ، وذلك بغية الوصول إلى الانسجام أو التكيف الاجتماعى بين المؤسسة والجماهير »[3] .

---

(١) محمد طلعت عيسى ، العلاقات العامة والإعلام ، ط ٣ ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٣ ، ص ٢٩

وراجع : الإعلام فى صدر الإسلام . د/ عبد اللطيف حمزة ص ٩٤ — ١٠٠ — دار الفكر العربى ط ثانية ١٩٧٨

(٢) الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامى — د/ عبد الوهاب كحيل ص ١٥١ ط أولى ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٥م

(٣) دكتور إبراهيم إمام ، الإعلام والاتصال بالجماهير — ط أولى — مكتبة الأنجلو المصرية ص ١٩ ط ١٩٦٩

ويعرف معجم وبستر الدولى العلاقات العامة بأنها « نشاط مؤسسة صناعية أو شركة أو صاحب مهنة ، أو حكومة ، أو أى هيئة من الهيئات ، لإقامة علاقات عامة سليمة مجدية بالجمهور العام ، وبفئات هذا الجمهور المنوعة ، كالمستهلكين والموظفين والمسهمين وغيرهم ، وذلك بغية التكيف مع البيئة ، وتفسير النشاط الاجتماعى »[1] .

ويتضح من هذه التعريفات المتعددة المتقاربة المعنى — للعلاقات العامة فى العصر الحديث — أن نظرة بعض علماء الإعلام إليها تقوم على أنها — فقط — من أجل المصالح الخاصة بالمؤسسات والهيئات ، التى تبغى الربح والكسب المادى ، وليس من أجل إقامة مجتمع سليم آمن متفاهم ، أى أن المقصود منها — فى ضوء هذا التصور — أنها أداة من أدوات تحقيق الأرباح المادية ، فدورها مثلا لا يقل عن دور الماكينات الحديثة ، واستخدام العمال المهرة ، وغير ذلك من أدوات زيادة الإنتاج .

ويتضح هذا المفهوم أيضاً للعلاقات العامة من خلال ممارسة خبرائها البارزين لهذا العمل فى المجتمعات الحديثة ، ومن أبرز هؤلاء (إيفى لى) والذى يسمى بأبى العلاقات العامة ، فممارسته للعلاقات العامة الحديثة لاتزيد عن كونها عملية ربح مادى ، أو زيادة إنتاج ، أو استخدامها

---

(١) دكتور إبراهيم إمام ، العلاقات العامة والمجتمع ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

وراجع : الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية — د/ محيى الدين عبد الحليم ص ٧٨ — ٧٩ — مكتبة الخانجى بالقاهرة ط ثانية ١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م

لكسب سياسى ، بتغيير صورة مرشح أمام الناخبين إلى صورة أفضل ، حتى يحبوه ويولوه ثقتهم .

« أدرك (إيفى لى) أن النشر وحده لا يكفى لكسب تأييد الجماهير ، وأن القول الجميل لا بد أن يدعم بالفعل الجميل ، وقد أكد مراراً على أهمية العنصر الإنسانى كقوله ، « إننى أحاول دائماً أن أترجم الدولارات والسنتات والأسهم والسندات إلى مصطلحات إنسانية ». وعندما لاحظت أن رجال الأعمال يتعمدون إخفاء سياستهم نصحتهم بضرورة إعلان أهدافهم وتحديد سياستهم ، ومخاطبة جماهيرهم مباشرة دون وساطة وكلاء الدعاية ، وحينما انضم (إيفى لى) إلى مكتب « جورج باركر » فى شركة النشر التى أسسها الأخير باعتبارها مكتباً للدعاية ، أكد لعملائه أنه لن يعمل وكيلا للدعاية ، ولكنه سيحاول إرشادهم إلى كيفية تصحيح سياستهم نحو الجمهور ، والإعلام عن السياسات المعدلة فى الصحف ، وكان ذلك سبباً فى اختلافه مع شريكه باركر ، الذى كان يفكر بعقلية وكلاء الدعاية ، الذين يعتمدون على المبالغة فى النشر والتهويل »[1] .

وقد أساء البعض فى العصر الحديث فهم العلاقات العامة وعملها وأصولها ، بصورة أدت إلى تشويه الوجه الحسن للعلاقات العامة ، حيث اتخذوا لأنفسهم شعاراً خبيثاً يقول : (إيفى لى) : « إنك لا تستطيع أن تستغفل جميع الناس كل الوقت ، ولكنك تستطيع أن تستغفل ٩٨ ٪ منهم ، لفترة طولها ٩٨ ٪ من الوقت »[2] .

---

(١) دكتور على عجوة ، الأسس العلمية للعلاقات العامة ، عالم الكتب القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٧

(٢) دكتور إبراهيم إمام ، الإعلام والاتصال بالجماهير ، مرجع سابق ، ص ٢٠

وقد فهم هؤلاء مهمة العلاقات العامة فهماً خاطئاً ، حيث يرونها عملية استغفال لعقول الناس ، بعيدة عن الحقائق ، وعن المنطق ، وعن توضيح الصورة المشرقة من حياة البعض ، كما كان يفعل [إيفى لى] بهدف تحقيق تغيير وجهة نظر المواطنين إلى شخص ما أو هيئة أو مؤسسة ما .

هذا هو تعريف العلاقات العامة ، وهذه هى أهدافها ، ووظائفها فى العصر الحديث ، وهو — كما يبدو — تعريف قاصر على التعامل بين مؤسسة وجمهورها من أجل كسب مادى أو نوع معين من التعاون ، أو تغيير نظرة الجمهور إلى شخص معين بهدف تحقيق ذلك الفرد لكسب سياسى أو مادى أيضاً .

وتختلف العلاقات العامة الإسلامية عن ذلك اختلافاً كبيراً ، حيث تؤدى وظائف أكبر ، وتحقق أهدافاً أكثر بكثير من العلاقات العامة فى العصر الحديث ، فالعلاقات العامة الإسلامية قد بنيت بطريقة تبدأ مع الطفل منذ نعومة أظفاره ، بل مع الأسرة منذ بداية تكوينها .

فالإسلام قد بنى العلاقات العامة على العلاقات الخاصة ، فجعل للعلاقات الخاصة نظاماً متيناً قوياً متماسكاً ، فيه يتعلم الفرد أسس العلاقات ومبادئها ، فيتعلم الفرد الأمانة والإخلاص وحب الغير ، والشعور بمشاعر الآخرين ، والحرص على حسن السلوك . فإذا ما نشأ الفرد وأصبح إنساناً عاملا فى المجتمع ، تعلم ما له من حقوق وما عليه من واجبات ، وكان من السهولة بمكان تحقيق أو تنفيذ هذه الأشياء ، لأنه اعتاد ذلك منذ صغره ونشأته ، كما أن العلاقات العامة الإسلامية لم يقتصر عملها ولا نشاطها على الميادين السياسية والتجارية فقط ، فى علاقة مؤسسة بجمهورها مثلا ، وإنما امتد ليشمل أكثر من ذلك ، فهو يشمل علاقة الأفراد بعضهم ببعض وعلاقتهم بالهيئات والمؤسسات ومختلف طوائف المجتمع ، بل يمتد ليشمل علاقة المجتمعات بعضها ببعض أيضاً .

وعلى هذا فيمكن تعريف العلاقات العامة الإسلامية بأنها : « فن تنظيم وتحسين العلاقات الإنسانية بين جميع الأفراد، والهيئات والمؤسسات والطبقات فى المجتمع ، وبين المجتمعات بغية تحقيق المحبة والتآلف والتماسك والتفاهم ، ليكون الناس جميعاً جسداً واحداً وروحاً واحداً وذلك باستخدام وسائل وأجهزة وفنون الإعلام الحديثة المختلفة المتنوعة وأساليبه الفنية الجذابة »(١) .

وهذا التعريف يوسع مجال العلاقات العامة ، لتشمل كل الأفراد والهيئات والمؤسسات والطبقات ، بل بين المجتمعات وبعضها ، فهو يتسع ليشمل جميع الناس ، ذلك أن الإسلام ينظم حياة البشر جميعاً ، فهو ليس قاصراً على زمان معين ولا مكان معين .

كما أن هذا التعريف يتيح استخدام أجهزة وفنون وأساليب ووسائل الإعلام المختلفة ، ليمكن التعبير عن هذه العلاقات ونشر مفاهيمها ، ومبادئها لكل الناس ، بدءاً ببرامج الأطفال ، وانتهاءً بأعظم الثقافات أو المستويات الثقافية التى تخاطبها أجهزة الإعلام الحديثه والمتطورة ، مع استخدام الأساليب الجذابة الراقية ، التى تلفت نظر المستقبل ، وتشد انتباهه ، وتشوقه إلى الاستماع والاستمتاع بما يقدم له .

ويبين التعريف أيضاً أن فن العلاقات العامة ، ليس سائراً فى طريق واحدة من المؤسسة إلى الجمهور ، ولكنه يسير فى نظام أوطريق مزدوجة بين الأفراد وبعضهم ، أو الأفراد والهيئات أو المؤسسات ، وأيضاً بين المجتمعات وبعضها ، ويمكن استخدام وسائل قياس الرأى العام لمعرفة ذلك .

---

(١) الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامى ، . د/ عبد الوهاب كحيل — ط أولى - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م - ص ١٥٤ . وعليه عولنا .

وقد اقترب بعض أساتذة العلاقات العامة فى العصر الحديث من هذا التعريف ، وإن لم يكونوا قد توسعوا فيه إلى هذا الحد ، حيث يذكر الدكتور إبراهيم إمام أن « علم العلاقات العامة هو الذى يدرس سلوك الأفراد والجماعات دراسة علمية موضوعيه بغية تنظيم العلاقات الإنسانية على أسس من التعاون والمحبة والوعى »(١) :

ويقارن (إدوارد بريتر) بين الهندسة والعلاقات العامة فيقول « فكما أن المهندس يقيم الأبنية ، ويشيد المنشآت ، فإن خبير العلاقات العامة يقيم الصلات الودية ، ويشيد الرضا ، والتأييد »(٢) .

وعلى الرغم من هذه التعريفات ، للعلاقات العامة الحديثة ، فإنها لم تصل إلى مستوى العلاقات العامة الإسلامية ، لأنها تقصرها كما ذكرنا على العلاقات بين الأفراد ، والمؤسسات والهيئات ، وتجعل هذا النشاط تقوم به المؤسسات ، والهيئات دائماً لكسب ود الجماهير ، كما أن العلاقات العامة الحديثة ، تقدم فى بعض الأحيان على تغيير صورة فرد أمام الجماهير، كما حدث مع (روكفلر) فتعتمد على (تقديم الجوانب المشرقة والجذابة ، وتلقى الأضواء المستمرة عليها ، وقلما تحاول الإشارة إلى الجوانب الأخرى، وبذلك يقترب نشاطها من التأثير المقصود لكسب ود الجماهير »(٣) .

---

(١) دكتور إبراهيم إمام ، العلاقات العامة والمجتمع ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٣) إبراهيم إمام ، الإعلام والاتصال بالجماهير ، مرجع سابق ص ٢١ .

كما نجد بعض العلماء فى العصر الحديث ، يهتمون بمسألة التبادل ، فى ممارسة العلاقات العـــامة ، بين الأفراد وبعضهم ، أو بين الأفراد والمؤسسات والهيئات . فيقول « هناك خلط كثير فى عقول بعض الناس حول مهمة العلاقات العامة . إذ يظن هؤلاء أن النشر والإعلام وإصدار الكتيبات ، والتأثير على الناس هو العلاقات العامة ، أو أنك إذا استطعت أن تنشر على الناس ما تريد من كلمات معسولة ، وألفاظ منمقة ، وصور ملونة ، فقد انتهى الأمر .

ولكن هذه المغالطة هى التى تهدم كيان العلاقات العامة ، التى ينبغى أن تقوم على التفاهم والوعى ، فهى ليست معلومات موجهة من طرف واحد ، وإنما هى تفاهم بين كل من المؤسسة والجمهور .

فالعلاقات العامة ليست هى الدعاية من جانب واحد ، أو التزويق والإشهار ، وإنما هى تنطوى على عرض الحقائق على الناس مع تفسيرها وتعليلها وإيضاحها . كما يجب دراسة الرأى العام ، وتحليله وقياسه وتفسيره للمؤسسة ، وفى ضوء هذه الدراسة المزدوجة المتبادلة ، يمكن الوصول إلى الانسجام أو التكيف الاجتماعى »[1] .

---

(١) إبراهيم إمام ، العلاقات العامة والمجتمع ، مرجع سابق ، ص١٩ ، وراجع : الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامى ، ص ١٥٦ (م . س) .

مقارنة بين العلاقات العامة الإسلامية والعلاقات العامة الحديثة

وبعد عرض تعريف العلاقات العامة الإسلامية ، وتعريفات مختلفة للعلاقات العامة الحديثة ، نستطيع التفريق بين كل منهما ، حيث يتضح لنا مما سبق ، أن هناك ثلاثة أوجه للاختلاف هى :

أولا : إن العلاقات العامة الحديثة تهتم بإقامة العلاقات العامة وممارستها ، من أجل هدف محدد ، حيث تقصر هذا النشاط على الهيئات والمؤسسات ذات التعامل مع الجمهور ، بهدف إرضاء الجماهير ، وبالتالى تحقيقها للأرباح المادية الوفيرة ، أو بهدف تحقيق بعض المكاسب السياسية لبعض الأفراد .

فى حين يتسع مجال العلاقات العامة الإسلامية ، ليكون الهدف منه إنشاء العلاقات الودية القائمة على المحبة والتعاون بين البشر جميعاً بقصد تكوين مجتمع بشرى متكاتف متماسك متآلف .

أى أن العلاقات العامة الإسلامية يقصد منها العلاقات من أجل النفع العام للبشر ، ويقصد منها حسن العلاقة فى حد ذاتها ، وليس تحقيق كسب مادى أو سياسى لمؤسسة ما أو فرد من الأفراد .

ثانياً : تعتمد العلاقات العامة الحديثة على تقديم الجوانب المشرقة لبعض الأشخاص ، أو المؤسسات أو الهيئات ، دون إبراز الجوانب الأخرى ، وقد تكون هذه الجوانب المشرقة صادقة أو حقيقية كما تمسك البعض بذلك ، وقد تكون كاذبة أو مختلفة ، كما فعل الذين يرون أن العلاقات العامة تعنى استغفال ٩٨ ٪ من الناس لفترة طولها ٩٨ ٪

من الوقت ، أى أن تقديم الجوانب المشرقة بصدق ، قد يكون حقيقة ، وقد يكون كذباً ، وفى كلتا الحالتين تتجاهل العلاقات العامة الحديثة الجوانب الأخرى غير المناسبة ، بهدف تغيير وجهة نظر الجماهير من الأسوأ إلى الأفضل لتحقيق استجابة معينة من الجمهور إلى الفرد أو المؤسسة ، فى موقف معين أو وقت معين ، وذلك لتحقيق مكسب أو نصر قد يكون سياسياً ، أو اجتماعياً أو مادياً .

أما العلاقات العامة الإسلامية ، فتمتد أبعادها لتجعل حياة جميع الأفراد فى المجتمع الإسلامى ، كلها مشرقة دائماً ، وليس فيها مكان للجوانب غير المشرقة ، فهى لا تتصنع هذا ولا تختلقه .

فإذا كان (إيفى لى) قد طالب إلى « روكفلر » إظهار التواضع فى لعب الجولف ، ومداعبة الأطفال والإنفاق فى وجوه الخير ، فإن الإسلام يأمر الناس جميعاً بالتواضع دائماً ، وينهاهم عن الكبر ، كما ينهى عن الذل فى الوقت ذاته[1] .

قال تعالى : « ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » [لقمان ، الآية ١٨ ، ١٩] كما يأمر الإسلام الناس جميعاً بالسخاء والكرم ، والجود والبر ، والإنفاق فى سبيل الله عز وجل ، وللفقراء والمحتاجين ، بل فرض الزكاة على الأغنياء فرضاً ، قال تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » [النور من الآية ٥٦ ، المزمل من الآية ٢٠] ، وقال تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا

(١) راجع منهج القرآن والسنة فى العلاقات الإنسانية . د/ مجاهد محمد هريدى ط. أولى — من ص ١٣٤ — ص ١٣٩ — مطبعة الأمانة — القاهرة .

مما تحبون وما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم » [سورة آل عمران آية ٩٢] ، وقال تعالى : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » [سورة البقرة آية ١٩٥] وقد حذر الله من عدم الإنفاق ، وبين عقابه فقال : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » [سورة التوبة آية ٣٤ ، ٣٥] ويبين الله عز وجل ما يدل على هوان هذه الدنيا ، وأن البخيل فيها إنما جزاؤه على نفسه فيقول : « إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ، إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ، ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » [سورة محمد الآية ٣٦ — ٣٨] .

وهذه الأوامر الإسلامية تجعل الجمهور الإسلامى الممتثل لها يمارس العلاقات العامة الإسلامية بتلقائية وطبيعية ، وبطريقة لا تكلف فيها ، ولا تصنع ولا كذب ، ولا رياء ، وبذلك يكون المجتمع كله صوراً مشرقة ومشرفة ، ويسوده الوئام والمحبة والسلام .

ثالثاً : وأما الفارق الثالث ، فيكمن فى أن العلاقات العامة الإسلامية أكثر أصالة وعمقاً من العلاقات العامة الحديثة ، وذلك لأن العلاقات العامة الإسلامية تبدأ بالعلاقات الخاصة ، وبنائها بناءاً حسناً ، فقد اهتم الإسلام بنظام تكوين الأسرة والعلاقات الزوجية ، واختيار الزوجة ، كما وضع احتياطات الأمان لانهيار الأسرة ، فبين الحل الأمثل فى حال الغضب

والطلاق ، وبين أن للطلاق أحكاماً . . . وبين أيضاً الآداب التى يجب أن يلتزمها الفرد فى بيته ، وفى بيوت الناس كآداب الاستئذان ، ونظم علاقة المسلم بغيره من الناس ، فأمره بغض البصر ، وأمر بحسن اللباس ، ونظم أحوال المواريث والوصية ، ونظم المعاملات المادية بين المسلمين والناس أجمعين ، من تجارة ودين ، وتحريم الربا ونحو ذلك .

وهذا النظام المحكم يجعل الطفل يمارس حسن العلاقات منذ بداية نشأته ، ونعومة أظفاره ، داخل محيط أسرته ومجتمعه الصغير ، حتى إذا أصبح عضواً فى المجتمع ، مارس تلك العلاقات الحسنة بتلقائيه وطبيعية أيضاً . لأنه يكون قد تعودها منذ صغره وفى بيته ومجتمعه الأول .

أما العلاقات العامة الحديثة ، فإنما يتم تعليمها للفرد بعد كبره ، وللمشتغلين بها فقط ، أى من يعملون فى إدارة العلاقات العامة فى الشركات والمؤسسات والمصانع أو الدارسين لها والباحثين فيها ، ومهما تم تلقين هؤلاء من مبادىء وأسس ، فإن الأشياء التى تعلموها فى الصغر تغلب عليهم ، فهم يمارسون العلاقات العامة فى محيط عملهم فقط ، وبتكليف أو تصنع ، يجعل العمل غير مؤثر تأثيراً كبيراً .

وهذا يوضح الفارق بين العلاقات العامة الحديثة ، والعلاقات العامة الإسلامية ، والتى تبدو أكثر أصالة وعمقاً واتساعاً ، وأكثر فائدة وتأثيراً على المجتمع ، حيث لها أبعاد وأهداف أكثر فائدة ، لو تم تنفيذها لكان الناس جميعاً أمة واحدة ، ووحدة متآلفة ، لا مكان لتلك المشكلات العالمية والمحلية بينهم .

والجدير بالذكر : أن العلاقات العامة الإسلامية تلعب دوراً هاماً

فى كل المجتمعات ، وبين كل البشر ، مسلمين وغير مسلمين ، حيث تؤدى وظائف هامة ، تتمثل فى غرس المحبة والمودة والإخاء بين الأفراد بعضهم البعض داخل كل مجتمع من المجتمعات ، وكل أسرة من الأسر ، ذلك أن الإسلام دين يحترم حسن العلاقات بين الناس ، ويأمر بذلك ، والرسول ﷺ يضرب المثل الأعلى فى ذلك قولا وعملا ، فقد كان مثلا لحسن الخلق ، وحسن المعاملة مع كفار مكة ، ومع يهود المدينة ، ومع المنافقين ، ومع الناس جميعاً ، وهو بهذا يعلم الناس كيفية ممارسة العلاقات العامة الإسلامية ، وكيفية التعامل ، وحسن الخلق بطريقة فعلية وعملية ، ولو سار الناس عليها لأصبح الناس أحباباً ، وسادت بينهم علاقات المحبة والمودة والوئام .

ومن وظائف العلاقات العامة الإسلامية كذلك ، تنظيم العلاقات بين الحاكم والمحكوم ، فبعد أن تقوم العلاقات العامة الإسلامية بمهمتها فى توطيد روابط المحبة والألفة بين الأفراد وداخل المجتمع على اختلاف طبقاته وفئاته ، تقوم بدورها فى تنظيم العلاقات وتحسينها بين الحاكم والمحكوم ، فى كل مجتمع من المجتمعات ، فمهمة العلاقات العامة الإسلامية فى تحسين هذه العلاقات وتنظيمها ، أن تجعل الحاكم ينظر إلى المحكومين على أنهم رعيته ، وأنه مسئول عنهم بالدرجة الأولى أمام الله عز وجل ، وأنه يجب عليه أن يجهد نفسه لتوفير الراحة لهم ، كما تجعل العلاقات العامة الإسلامية المحكوم ينظر إلى الحاكم على أنه ولى أمره الأمين المخلص ، الخائف على مصلحته ، المحب له ، وعليه أن يعاونه فى أداء مهمته وتحقيق خدماته للمجتمع كله ، وبالتالى يصبح هناك تبادل محبة ، وتصبح هناك علاقات حسنة بين الحاكم والمحكوم[1] .

---

(١) راجع : الحكومة الإسلامية — أبو الأعلى المودودى — ص

ومن وظائف وأهداف العلاقات العامة الإسلامية كذلك ، تحسين العلاقات والروابط بين المجتمعات وبعضها البعض على جميع المستويات المحلية والعالمية ، وإذا أمكن تحقيق هذه الوظائف ، وهذه الأهداف للعلاقات العامة الإسلامية ، وتنفيذها بالمنهج الذى رسمه الإسلام ، ونفذه الرسول ﷺ وأصحابه . فإننا نجد العالم كله على جميع مستوياته ، ومختلف مجتمعاته وفئاته يعيش فى سلام وأمن دائمين لا مكان فيه للنزاع ، ولا للبغض ولا للكراهية ولا الحقد ، فالأفراد فى كل مجتمع يتبادلون المحبة والإخلاص ، والحاكم والمحكوم فى كل مجتمع يتعاونون على تحقيق الصالح العام للمجتمع ، ويتبادلون المحبة ، وتربطهم علاقات طيبة حسنة ، وكل المجتمعات على مستوى العالم تربطهم أيضاً روابط وعلاقات طيبة وهذا يحقق للعالم كله الأمن والاستقرار والمحبة والسلام(٢) .

والجدير بالذكر أيضا : أن العلاقات العامة الإسلامية تقوم بوظائفها من خلال منهج إسلامى محكم يتفق وأسس ومبادىء الاتصال الحديث وأشكاله من شخصى وجمعى وجماهيرى ، حيث تبدأ مهمة العلاقات العامة الإسلامية على المستوى الشخصى ، ثم تنتقل إلى المستوى الجمعى ثم تنتقل إلى المستوى الجماهيرى بكل أشكاله وصوره ، لتعم العالم كله ، لتنشر بين ربوعه الأمن والطمأنينة والسلام ، وليعيش البشر فى سلام دائم ، وهذا

= تعريب أحمد إدريس ص ٢٦٤ — ص ٢٧٢ — ط المختار الإسلامى .
وراجع : نظرية الإسلام السياسية — أبو الأعلى المودودى ص ٦٠ ط ١٩٦٩ — مطبعة دار الفكر لبنان .

(٢) لمزيد من التفصيل يراجع كتاب : الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامى من ص ١٦١ — ١٩٠ « مرجع سابق » .

ما ينشده الجميع ، ويعجز عنه فى ذات الوقت أى نظام من الأنظمة المعروفة ما عدا الإسلام .

فها هى نظرياته واضحة موجودة ، سهلة التناول والتنفيذ . فهل من مجيب غيور على دينه لتطبيقها لإنقاذ البشر من دمار الذرة ، ومن أهوال الأسلحة النووية ، ومن ويلات الحروب وما يمكن أن تؤدى إليه من مستقبل مخيف مظلم يهدد الأجيال البريئة القادمة ، التى ربما تجنى ثمار مالم تعلم عنه شيئاً ، اللهم إلا ميراث آباء وأجداد ابتعدوا عن شرع خالقهم وتعاموا عنه ، وتناسوه وخالفوه ، فتركوا تلك الآثار البشعة ؟ !

وإتماماً لذلك الدور الهام للعلاقات العامة الإسلامية ، نتحدث فى الصفحات القادمة إن شاء الله عن الأسس السليمة للعلاقات العامة الإسلامية .

ثانياً : أسس العلاقات العامة فى الإسلام :

إذا كانت العلاقات العامة الإسلامية — كما رأينا من تعريفها ومنهجها ووظائفها — تعمل على أن يمارس المسلمون جميعاً حسن العلاقات صغيرهم وكبيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، حتى يصبح المجتمع الإسلامى مجتمع المحبة والتعاون والتفاهم والوئام ، وحتى يكون الناس جميعاً إخوة وأحباباً ، ولهم على ذلك الأجر والثواب من الله تعالى ، وذلك فضلا عما تحققه هذه العلاقات الإسلامية من تقدم ورخاء ، حيث يعيش الناس جميعاً — بفضلها إن تحققت — أخوة متحابين متعاونين ، ولا مكان لبغضاء ، ولا شحناء ، لا يقتلهم الحسد ولا تفنيهم المعارك ولا تدمرهم الحروب .

فإن الإسلام قد وضع أسساً بفضل التزامها تتحقق العلاقات العامة الإسلامية ، وسنرى هذه الأسس فى القرآن الكريم .

وسنراها بالقول والعمل فى حياة الرسول ﷺ ، وفى ممارسة أصحابه لهذه العلاقات ، التى تعد نبراسا يقتدى به الدعاة إلى الله عز وجل .

والأسس التى وضعها الإسلام لتحقيق العلاقات العامة الإسلامية هى أسس صالحة لكل زمان ومكان ، ولكل طبقات ونوعيات البشر ، فقد تختلف بعض الأساليب باختلاف الزمان أو المكان أو طبقات ونوعيات البشر ، وذلك من مرونتها ، وحتى تكون أكثر مناسبة وقابلية للتطبيق بيسر ودون عناء أو تعب . أما الأسس ، فإنها الخطوط العريضة والركائز التى تقوم عليها ممارسة العلاقات العامة الإسلامية ، فكل المجتمعات وكل الأماكن والأزمنة يناسبها الخلق الحسن وتناسبها الرحمة والمساواة والقضاء على النزعات العصبية التى تؤدى إلى الفرقة والانقسام ، كما يناسب كل المجتمعات وكل البشر أيضاً الحلم والعفو والتواضع والعدل والوفاء بالعهد ، فهذه الأسس صالحة لإقامة العلاقات الحسنة بين كل الناس فى كل عصر ومصر ، كما أن الحدود والشرائع التى نزلت من عند الله تعالى لتنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض تناسب أيضاً كل زمان ومكان ، وهذه الأسس هى أسس العلاقات العامة الإسلامية ، وسوف نتحدث إن شاء الله عنها بالتفصيل ، وهى ما يلى : —

١ — الأخلاق الحسنة :

حث الإسلام على حسن الخلق وأمر المسلمين بالتزام مكارم الأخلاق فى كل سلوكياتهم وأفعالهم وأقوالهم ، وقد أمر القرآن الكريم بذلك ورغب فيه . قال تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

[سورة فصلت ، الآية : ٣٤]

وقال تعالى : « وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً » . [سورة الإسراء ، الآية : ٥٣] .

وقال تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

[سورة الأعراف ، الآية : ١٩٩]

« فى القرآن من الأخلاق نوعان : نوع هو تعليم لآداب اللياقة « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » .

[سورة النساء ، الآية : ٨٦]

« لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » .

[سورة النور ، الآية : ٢٧]

ونوع آخر هو أسمى ما تدعو إليه الأخلاق ، وفاء بالوعد ، وصبر فى الشدائد ، وعدل مع من أحببت أو كرهت ، وعفو عند المقدرة ، وعفة من غير غلو .

وبذلك فقد كان للإسلام أثر كبير فى تغيير قيمة الأشياء والأخلاق فى نظر العرب ، فارتفعت قيمة أشياء ، وانخفضت قيمة أخرى ، وأصبحت مقومات الحياة فى نظرهم غيرها بالأمس »[1] .

وقد بين النبى ﷺ أن الهدف من بعثته ، إنما هو الأخلاق ، وذلك لأنها جامعة لكل أصول الخير ، فى علاقة الفرد بربه وبالآخرين . يقول ﷺ « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق »[2] ذلك لأن الأخلاق هى

(١) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، الطبعة الثالثة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٥ ، ص ٩٢ ، ٩٤

(٢) موطأ الإمام مالك — ج ٢ حديث رقم ٨ ص ٩٩٤ — باب ما جاء فى حسن الخلق — عن أبى هريرة

الجانب التطبيقى للمسلم فى سائر علاقاته .وشرائع الإسلام نفسها وفرائضه تؤدب المسلم وتعلمه حسن الخلق ، ذلك « أن العبادات المشروعة فى دين الله أعمال مكررة من أجل أن يتعود فاعلها على الأخلاق الفاضلة ويتجنب الرذائل والمفاسد ، وآيات القرآن تعبر عن ذلك بوضوح ، فالصلاة المشروعة الحقيقية « تنهى عن الفحشاء والمنكر » [سورة العنكبوت الآية : ٤٥] . والزكاة للناس « تطهرهم وتزكيهم بها » [سورة التوبة ، الآية : ١٠٣] . وفرض الصوم عليهم « لعلهم يتقون » [سورة البقرة ، الآية : ١٨٧] .

والحج أعمال أخلاقية « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » [سورة البقرة ، الآية : ١٩٧] .

وعلى هذا النحو يرسم الإيمان . وترسم العبادات أخلاق المسلم لأنها الهدف الأساسى من صناعتها للإنسان »[١] .

وقد علم القرآن وعلم الرسول ﷺ المسلمين كافة حسن الخلق فى القول والفعل والمعاملة ، والآداب العامة ، والتزام الواجبات الشخصية والاجتماعية ، ومن ذلك أمر الرسول ﷺ بحسن الخلق فى المعاملات الأسرية وسائر المعاملات حيث يقول : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم »[٢] ، ويقول عليه الصلاة والسلام

(١) د. أحمد أحمد غلوش — الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها — « دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، ١٩٧٨ » ص ٢٧

(٢) جلال الدين السيوطى ، الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ، الجزء الأول ، ص ٢٢٨ ، يوسف النبهانى — مطبعة دار الكتب العربية الكبرى — مصر

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف »[١] .

ويحث النبى ﷺ أمته على حسن الخلق بترك المراء والجدال لما فيه من عواقب وخيمة تقطع الصلات ، وترك الكذب لما فيه من مضرات ، ثم يبين ثواب ذلك — قال ﷺ : « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة — حولها — لمن ترك المراء وإن كان محقاً ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وببيت فى أعلى الجنه لمن حسن خلقه »[٢] . ويقول عليه الصلاة والسلام « ما من شىء أثقل فى الميزان من حسن الخلق »[٣] .

ومن فوائد حسن الخلق فى الإسلام أيضاً كما يبين النبى ﷺ حسن العلاقات بالناس فى الدنيا والثواب العميم فى الآخرة . يقول النبى ﷺ « إن أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً . الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلى الله تعالى المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الاخوان ، الملتمسون للبرآء العثرات »[٤] .

(١) أخرجه الترمذى فى سننه — كتاب الرضاعة — باب ما جاء فى حق المرأة على زوجها ج ٤ ص ٢٥٥

(٢) سنن الترمذى ج ٤ كتاب البر والصلة — باب ما جاء فى المراء — ص ٣٥٨ — حديث رقم ١٩٩٣ — وهذا الحديث : حديث حسن

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه ج ٤ — ص ٢٦٢ كتاب البر — باب ما جاء فى حسن الخلق — عن أبى الدرداء — وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده . ج ٤ — ص ١٩٣ — ١٩٤

ويقول ﷺ : (إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم فى الليل الظامىء فى الهواجر)[1] ،

ويقول ﷺ : (إن أحبكم إلى الله وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلساً يوم القيامة مساوئكم أخلاقاً الثرثارون ، المتشدقون ، المتفيهقون »[2] .

وقد كانت أخلاق الرسول الكريم ﷺ نفسه ، خير مصدق لما يأمر به القرآن ، ولما ينصح به هو أصحابه ؛ فقد كان يسبق بالعمل قبل الكلام ، وكان يتمثل القرآن فى كل خلق وكل عمل ، حتى إن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها لتقول : (كان خلقه القرآن) . (فقد كانت حياته اليومية صورة صادقة للتعاليم القرآنية — إذا جاز التعبير — لكل ما أوصى القرآن الكريم به . وكما أن كتاب الله دستور أخلاق سامية ، لإنماء ملكات الإنسان المتعددة ، كذلك فإن حياة رسول الله ﷺ معرض عملى لتلك الأخلاق كلها ، وهكذا فإن لدى المسلم هادياً مزدوجاً : القرآن الكريم من الناحية النظرية ، وحياة الرسول كمثل كامل »[3] .

فقد كان النبى ﷺ حسن الخلق فى بيته مع زوجاته ، وحسن الخلق مع أصحابه ، وحسن الخلق مع خادمه ، وحسن الخلق حتى مع أعدائه ، ومن أمثلة ذلك « أنه لما أتى (بسبايا طيىء) . وقعت جارية فى السبى فقالت :

(١) أخرجه أبو داود فى سننه جـ ٤ ـ ص ٢٥٣ ـ كتاب الأدب ـ باب ماجاء فى حسن الخلق ـ عن عائشة رضى الله عنها .

(٢) جلال الدين السيوطى ، الجامع الكبير ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ١٨١٣ ، ٢٠٥١ ، ٢٠٥٢ .

(٣) مولانا محمد على ، حياة محمد ورسالته ، ترجمة منير البعلبكى ، الطبعة الثالثة (دار العلم للملايين : بيروت ، ١٩٧٧) ص ٢٦٤ .

يامحمد : إن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب ، فإنى بنت سيد قومى ، وإن أبى كان يحمى الديار ويفك العانىء (الأسير) ، ويشبع الجائع ، ويطعم الطعام ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الطائى) ، فقال ﷺ : « ياجارية هذه صفة المؤمنين حقاً ، ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، وإن الله يحب مكارم الأخلاق » . فقام أبو بردة بن دينار فقال : يا رسول الله : آلله يحب مكارم الأخلاق ؟ فقال ﷺ : « والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق »[1] .

وبذلك نجد أن الأخلاق الحسنة وحسن التعامل من الأسس الهامة التى وضعها الإسلام فى القرآن وفى سنة النبى ﷺ القولية والفعلية ، وإن على المسلمين أن يتمثلوا حسن الخلق مع أصدقائهم وأيضاً مع أعدائهم . « فالمسلمون أصحاب رسالة ربانية ، وعليهم أن يجعلوا من أنفسهم مثلا حياً لرسالتهم التى يدعون الناس إليها ، سواء كان ذلك فى أخلاقهم ومعاملاتهم فيما بينهم ، أو فى أخلاقهم ومعاملاتهم مع خصومهم أو مع أعدائهم ، فالأخلاق عند المسلم الصادق ذات صورة واحدة ، ثابتة لا تتبدل بتبدل الأشخاص الذين يعاملهم ، لأن الأخلاق الإسلامية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأوامر الله ونواهيه »[2] .

وهذا الأساس من أسس العلاقات العامة الإسلامية — حسن الخلق — من الأسس التى تجعل المجتمع الإسلامى مجتمعاً قوياً متماسكاً ، متميز

(١) السيد سابق ، دعوة الإسلام ـ ص ١٢٥ (مطبعة المدنى ـ القاهرة .

(٢) عبد الرحمن الميدانى ، مكايد يهودية عبر التاريخ ، الطبعة الثانية (دار القلم : دمشق ، ١٩٧٨) ص ١٤٥ .

الشخصية لإمكان فيه للخلافات ، ولا للتفرقة المؤدية إلى الهوان والضعف ، وليس الأمر بهذا الأساس من أسس العلاقات العامة الإسلامية خاصا بطبقة من الناس تعمل فى ميدان العلاقات العامة ، ولكن المسلمين جميعاً مطالبون بحسن الخلق ، ومطالبون بممارسة حسن العلاقات ، وهذا مما يميز النظام الإسلامى من غيره ، حيث أوامره وتعاليمه لجميع الأفراد ، فالإسلام رائع فى تعاليمه العظيمة التى تدعو إلى الفضائل ومكارم الأخلاق ، وحسن المعاملة ، والمحافظة على أداء الفرائض ، مما يشهد برفعته وسموه ، ويمكن أن يكون بلا جدال عاملا فعالا لتحقيق الخير فى العالم إذا بدأ المسلمون فى بناء صرح حضارة قيمة تقوم على تراث ما ضيهم المجيد بدلا من نقلهم للحضارة الغربية المادية . بما فيها من معايير أخلاقية منحلة ، تؤدى إلى الهلاك والضياع بين شعوب العالم .

ذلك أن المجتمع الإسلامى الصحيح هو مجتمع المحبة والتعاطف والصفاء ، وفى ظلاله لا يعرف شىء يسمى الفقر أو الحقد أو التنافر الطبقى ، إذ يحظى الفقير والضعيف والعاجز بعطف الأغنياء والأقوياء والقادرين ، ومعونتهم التى يبذلونها طواعية من غير ترفع ولا تعال ، مما يقضى تماما القضاء على تلك الفوارق الاجتماعية ، والصراعات النفسية ، التى تعانيها المجتمعات غير الإسلامية المتأثرة بالمدنية الغربية ، وتهدد روابط الناس فيها بأفدح الأخطار ، لما تتسم به المدنية الأوربية الحديثة بالمراءاة والخداع والتضليل[1] .

(١) محمد عزت الطهطاوى ، فى الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين (دار التراث : القاهرة ، ١٩٧٩) ص ٢٩٧ — ٣٠١ ، بتصرف

٢ — الرحمة :

والرحمة من صفات الله تعالى ، فقد سمى نفسه الرحمن ، وسمى نفسه الرحيم ، وما من سورة من سور القرآن إلا وتبدأ بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » . وقد بين القرآن أن النبى ﷺ رحمة للمسلمين والمؤمنين وللعالمين . قال تعالى . « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧ . وقال تعالى : « ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم » سورة التوبة ، الآية ٦١ ، وقال تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » . سورة الفتح ، الآية : ٢٩ . ووصف الله القرآن الكريم بأنه رحمة ، قال تعالى : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » سورة الإسراء ، الآية : ٨٢ .

وقد أراد الإسلام أن يطبع الناس بصفة الرحمة حتى تمتلأ قلوبهم خيراً وبراً ، وتفيض على الدنيا رجاء وأملا . فالله رب هذا الدين هو الرحمن الرحيم ، وهو الذى وسع كل شىء رحمة وعلما ، وسبقت رحمته غضبه ، وجعل الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً ، وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق ، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه[1] .

وقد كان النبى ﷺ خلقه الرحمة ، كما قال الله تعالى فى شأنه « بالمؤمنين رؤوف رحيم » . سورة التوبة ، الآية : ١٢٨ .

وقد كان يمارس الرحمة فى كل أموره ويأمر بها . فتراه فى بيته رحيما ، ومع أولاده رحيما ، ومع خدمه رحيما . فمن أمثلة رحمته فى بيته « أن

(١) السيد سابق ، مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال : أتقبلون الصبيان . وما نقبلهم ؟ فقال رسول الله (أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة)[1] .

وأطال الرسول السجود يوماً عن المعهود . فسأله أصحابه : فقال إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله » ، وكان يسمع بكاء الصبي وهو يصلي فيخفف في الصلاة »[2] .

« وكان النبي ﷺ يأمر أصحابه بالرحمة ، فقالوا : « إنا نرحم أولادنا وأهلينا » ، ولم يرض هذا القول رسول الله ، لأنه فهم قاصر محدود لما ينبغي أن يكون عاماً شاملا ، إنه تقييد للمطلق . ولذلك رد النبي بقوله : « ماهذا أريد إنما أريد الرحمة العامة » .

وما من شك في أن الرحمة رحمة الأزواج والأولاد والأهل ، وقد حث على ذلك رسول الله ﷺ . بيد أن ما أراده الرسول إنما هو أن تتغلغل الرحمة في الكيان الإنساني كله ، حتى تصبح وكأنها من فطرته ، وطبيعته وجبلته ، فيكون الإنسان وكأنه قبس من الرحمة الإلهية ينشرها إذا سار وينشرها إذا جلس وينشرها أينما كان ، وينشرها حيث حل »[3] .

---

(١) جلال الدين : لسيوطي ، الفتح الكبير ، الجزء الأول مرجع سابق ص ٤٦١

(٢) صحيح البخاري — كتاب الصلاة — ج ١ باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي ص ١٤٣

(٣) د / عبد الحليم محمود ، الرسول وسنته الشريفة ، ص ٢٤٥ ، سلسلة بمجمع البحوث الإسلامية .

وقد أمر رسول الله ﷺ بالرحمة مع العبيد ، فأمر بحسن معاملتهم ، وحسن إطعامهم مما يطعم الإنسان ولباسهم مما يلبس ، وتكليفهم مما يطيقون . يقول أحد الصحابة : « دخلنا على أبي ذر بالوبذة ، فإذا عليه برد وعلى غلامه مثله ، فقلنا يا أبا ذر لو أخذت برد غلامك فكانت حلة وكسوته ثوباً غيره ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليكسه مما يكتسي ، ولا يكلفه مما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعينه »[1] .

وعن أبي مسعود البدري رضي الله تعالى عنه قال : كنت أضرب غلاماً لي ، فسمعت صوتاً من خلفي : اعلم أبا مسعود « لله أقدر عليك منك عليه » . فالتفت فإذا هو النبي ﷺ ، فقلت يا رسول الله « هو حر لوجه الله » ، قال : أما لو لم تفعل ، للفحتك النار ، أو لمستك النار »[2] .

ومن رحمة النبي ﷺ أنه لم يضرب شيئاً بيده قط ، ولا امرأة ولا خادماً ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما ينل منه شيء قط فينتقم من صاحبه ، إلا أن ينتهك من محارم الله فينتقم لله ، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثماً »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ج ١ — ص ٨٤ — كتاب الإيمان — باب المعاصي من أمر الجاهلية — عن أبي ذر .

(٢) صحيح مسلم — ج ٣ — كتاب الأيمان — باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده — ص ١٢٨٠ — حديث رقم ١٦٥٩ — ط — أولى — ١٣٧٥ هـ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه — كتاب المناقب - ج ٤ ص ١٨٩ - باب صفة النبي ﷺ — المطبعة الخيرية — ط أولى ١٣٢٠ هـ

وأمر النبي ﷺ بالرحمة بالحيوان والرفق به « فنهى عن التحريش بين البهائم ، ولعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً .

ومر رسول الله ببعير قد لصق ظهره ببطنه من شدة الجوع ، فقال : اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة »[1] .

وقال ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح بهيمته »[2] .

ويبين ﷺ جزاء الذين يرحمون الحيوانات ويرفقون بها فيقول : « بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش ، فنزل بئراً فشرب منها ، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث الثرى — من شدة العطش — فقال لقد بلغ بهذا الكلب مثل الذى بلغ بى . فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله فغفر الله له ، قال الصحابة « يا رسول الله وإن لنا فى البهائم أجراً ؟ قال : « نعم لكم فى كل ذات كبد رطب أجراً »[3] .

ويقول ﷺ : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ،

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه — ج ٣ ص ٢٣ — كتاب الجهاد — باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم ط. دار الحديث — ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .

(٢) صحيح مسلم — ج ٣ — كتاب الصيد والذبائح — باب الأمر بإحسان الذبح والقتل ص ١٥٤٨ حديث رقم ١٩٥٥

(٣) صحيح البخارى ج ٧ كتاب الأدب ص ١٠٢ حديث رقم ٦٠٠٩ [م.س] .

وسقتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض »[1] .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام رحيما حتى مع أعدائه ، فكان يأمر بعدم قتل النساء والأطفال ، وقد فعل ذلك مع بنى قريظة ، حيث حكم بالقتل على رجالهم أو المقاتلة منهم — كل من يستطيع حمل السيف من الرجال — وسبى النساء والذرية ، وأخذ الأموال غنيمة .

كما كان يأمر بعدم التخريب ، فلا يحرق زرع ولا ثمر ولا نخل ولا شجر « وكان ينهى عن الإفساد فى الأرض بصفة عامة ،

كما كان ينهى عن المثلة وقتل الجريح ، ونهى أيضاً عن قتل من يقومون بنقل الجرحى وإسعافهم .

« خرج النبى ﷺ يودع سرية من المدينة ، وهى سرية مؤتة إلى خارج المدينة يدعو لهم بالنصر ، ويوصيهم ألا يقتلوا النساء ولا الأطفال ولا المكفوفين ، وألا يهدموا المنازل ، وألا يقطعوا الأشجار »[2] .

وكان من رحمة النبى ﷺ أنه يوصى بعدم قتل الأعزل ، أى الذى لا سلاح له ، والعالم كله يتحدث حتى الآن عن المستشرق الفرنسى سابقاً رجاء جارودى ، والمفكر الإسلامى عن سبب إسلامه (حيث سلم لجندى جزائرى مسلم ليرميه بالرصاص ، ولكن الرحمة قد دعت المسلم إلى عدم قتل الأعزل ، وأخبره بأنه لن يقتله لأن دينه - الإسلام - يأمر بعدم قتل الأعزل ، وكانت الرحمة الإسلامية فى هذا الموقف النبيل سبباً فى إسلام

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه — ج ٤ كتاب البر ص ٢٠٢٣ حديث رقم ١٣٥

(٢) د / محمد الطيب النجار ، سيرة الرسول (مكتبة الجامعة الأزهرية ، (ب.ت) ص ٢٨٦

ذلك المفكر الكبير ، حيث بدأ يفكر فى هذا الدين ، ولو وجهت إليه أكثر الوسائل إغراءاً وإقناعاً ما لفتت نظره مثل ذلك الموقف العملى من الجندى المسلم)[1] .

هكذا نرى الرحمة من أسس العلاقات الإسلامية ، يعلمها لنا القرآن الكريم ويعلمها لنا النبى ﷺ مع الأهل ومع الأصدقاء ومع العبد ومع الحيوانات ومع العدو .

ما أحرى رجال الدعوة الإسلامية إلى التمسك بها والحث عليها !! .

٣ — المساواة وإلغاء العصبيات :

جاء الإسلام ديناً لجميع البشر ، لا يفرق بين عربى وعجمى ، ولا بين غنى وفقير ، ولا بين كبير وصغير ، فالكل أمام الله سواسية « إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعدهم عداً . وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً » سورة مريم ، الآية ٩٣—٩٥

فلا فرق بين فرد وآخر إلا بالتمسك بمبادىء الدين والالتزام بها بالقول وبالعمل الصالح ، وفى ذلك قال تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً » سورة مريم ، الآية ٩٦

فقد خلق الله الناس جميعا من نفس واحدة . « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » سورة النساء الآية ١

وقال تعالى : « وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون » سورة الأنعام الآية ٩٨ ،

(١) الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامى — د/ عبد الوهاب كحيل ص ١٩٩

وقال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » سورة الحجرات ، الآية ١٣

بمعنى أن هذا الاختلاف فى الشعوب والقبائل هو للتعارف فقط . « فنظرة الإسلام إلى الإنسان عامة نظرة التكريم ، والاحترام ، لذا يضع من القواعد والأصول والأحكام ما يصون لكل كرامته الأدبية ، وحقوقه فى الحياة ، فالعدل والرحمة والمساواة فى الحقوق والواجبات أمور يفرضها الله لجميع الناس ، مالم يكن منهم اعتداء ، وخروج عن حدود الله ، وهكذا تسقط جميع الفوارق ، وهكذا تسقط جميع القيم ، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة ، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر ، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر فى الميزان »[1] . لذلك ولأن البشر أصلهم واحد ، وقد خلقهم الله من ذلك الأصل ، فليس هناك مايدعو لأن يتعالى بعضهم على بعض ، أوأن ينفاخر بعضهم على بعض ، بالأحساب والأنساب ، لأن نسبهم جميعاً — مهما تباعدت الأماكن وطالت الأزمان — واحد يرجع لآدم .

ومن أجل ذلك حارب القرآن الكريم تلك النعرة العصبية ، الداعية إلى الانقسام والفرقة ، والادعاء بأن بعض الناس أرفع من بعض ، قال الله تعالى : لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم ، والله

(١) راجع : فى ظلال القرآن ـ الشيخ سيد قطب ـ المجلد السادس ص ٣٣٤٨ ـ دار الشروق ، وراجع : محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى الاستراتيجية العسكرية الإسلامية الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة ط ١٩٧٦ ص ٣٨

بما تعملون بصير » سورة الممتحنة ، الآية ٣ . وقال تعالى : « فإذا نفخ فى الصور فلاأنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» سورة المؤمنون الآية ١٠١ فهذه الآيات وغيرها تبين أن التفاخر بالأحساب والأنساب موضوع وليس له عند الله منزلة ولا اعتبار ، فالبشر جميعاً من نفس واحدة متساوون ، وأكثرهم تقديراً أكثرهم عبادة لله .

ولو نظرنا نظرة تاريخية إلى الأمم السابقة ، لوجدنا عنصر التفرقة وعدم المساواة كان سائداً ، وأن شريعة الإسلام قد قضت على هذه التفرقة والعصبيات ، ففى اليونان« كان قدماء اليونان يعتقدون أنهم شعب مختار، قد خلقوا من عناصر تختلف عن العناصر التى خلقت منها الشعوب الأخرى التى كانوا يطلقون عليها اسم البربر، وأنهم وحدهم كاملو الإنسانيه، فزودوا بما يمتاز به الإنسان من الحيوان من قوة العقل والإرادة ، فى حين أن الشعوب الأخرى ناقصة الانسانية ،مجردة من هذه القوة لا تزيد كثيراً عن فصائل الأنعام ، وقد عبر عن ذلك كبير فلاسفتهم أرسطو ، حيث قرر أن الآلهة قد خلقت فصيلتين من الأناس ، فصيلة زودتها بالعقل والارادة وهى فصيلة اليونان ، وقد فطرتها على هـــذا التقويم الكامل لتكون خليفتها فى الأرض وسيدة على سائر الخلق ، وفصيلة لم تزود إلا بقوى الجسم ، وما يتصل بها اتصالا مباشراً ، وهؤلاء هم البربر، أى ماعدا اليونان من الأناس ، وقد فطرتها الآلهة على أن يكونوا عبيداً مسخرين للفصيلة الممتازة ، فمن واجب اليونان رد هؤلاء إلى منزلة الرق هذه ، وكل حرب تشنها اليونان لتحقيق هذه الغاية حرب مشروعة تنبعث من طابع الأشياء ، وكذلك كان الشأن عند الرومان ، فكانت قوانينهم ونظمهم الاجتماعية تجرد غير الرومانى من جميع ما يتمتع به

الرومانى من حقوق ، وتنظر إليه على أنه من فصيلة إنسانية وضيعة وأنه لم يخلق إلا ليكون رقيقاً للرومان ، وكان الإسرائيليون يعتقدون أنهم شعب الله المختار ، وأن الكنعانيين شعب وضيع بحسب النشأة الأولى ، وقد خلقه الله ليكون رقيقاً للإسرائيلين »[1] .

وكذلك كان العرب فى الجاهلية — قبل الإسلام — يرون أنفسهم شعباً متميزاً من الأعاجم ، ولعل كبرياءهم واعتزازهم بأنفسهم سبب فى عدم وجود ملك يحكمهم ، فكل منهم يعتبر نفسه فى درجة الملك ولا يرضى لغيره بالسيادة عليه ، وقد حدث من جراء هذه النزعة العربية التعصبية حادث طريف بين النعمان بن المنذر وكسرى ، أدى إلى معركة حامية — لازال التاريخ يذكرها — بين العرب والفرس .

« فقد حدث أن كسرى أبرويز خطب حرقة بنت النعمان بن المنذر فرفض النعمان مصاهرة كسرى — لأنه أعجمى ، وكانوا يعتقدون أنه لا ينبغى أن يزوج العربى ابنته للأعجمى ، مهما كان عظيما ، فهو يرى فى ذلك امتهاناً لشعبه ولإنسانيته ، وقد حدث ذلك مع أن النعمان ابن المنذر كان من ولاة كسرى ، والخاضعين لسلطانه ، فقتله كسرى ، وحاول أخذها بعد ذلك ، وكانت معركة « ذى قار » بين العرب والفرس بهذا السبب ، وانتصر العرب على الفرس فيها »[2] .

---

(١) على عبد الواحد وافى ، حقوق الإنسان فى الإسلام ، الطبعة الخامسة (دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة ، ١٩٧٩) ص ١٢، ١٣ .

(٢) الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير ؛ تاريخ الأمم والملوك ؛ الجزء الثانى ، المطبعة الحسينية بمصر : القاهرة ، (ب . ت) ، ص ١٥٠ .

وفى العقائد الأخرى ، غير الإسلام نجد أن من تلك العقائد مايفرق بين البشر (فالكتب المقدسة للهنود البرهميين تقرر التفاضل بين الناس بحسب عناصرهم ، ونشأتهم الأولى ، فتذكر أن براهما قد خلق فصيلة البرهميين من فمه ، وفصيلة الكشتريين من ذراعيه ، وفصيلة الفيسائيين من فخذه ، وفصيلة الشودرائيين أو المنبوذين من قدميه ، وتقسم هذه الأسفار الوظائف الإنسانية بين هذه الطبقات بحسب منزلة كل طبقة منها وشرف الوظيفة نفسها وأهميتها ، فللبرهميين أرقى هذه الوظائف ، وهى الوظائف الدينية ، فهم وحدهم الذين يعلمون الناس أسفار الفيدا (الأسفار المقدسة للبراهميين) ويشرفون على المذابح والضحايا ، وهم وحدهم لهم الحق فى « المنع والقبول أو فى الأخذ والعطاء » وللكشتريين الوظائف الحربية وحماية الشعب والعمل على استتباب الأمن ، وللفسائيين القيام على تربية الأنعام وشئون التجارة ، وأما الشودرا أو المنبوذون فلم يعطهم السيد إلا وظيفة واحدة ، وهى القيام على خدمة الطبقات السابق ذكرها، وهم فوق ذلك رجس ونجس فلايصح لمسهم ولامؤاكلتهم ولامصاهرتهم ، ولا الارتباط بهم بأية علاقة غير علاقة السيد بالمسود »[1] .

وقد ألغى الإسلام بشرائعه السمحة عوامل التفرقة هـذه ، ففى الصلاة يقف الفقير والغنى معاً ، والسيد وخادمه جنباً إلى جنب والعربى والعجمى والكبير والصغير كلهم فى ظل الإسلام وفرائضه متساوون ، بل وبالعمل الصالح يفضل الفقير على الغنى والخادم على السيد والعجمى على

(١) على عبد الواحد وافى ، مرجع سابق ، ص ١١ ، وراجع : أديان الهند الكبرى أحمد شلبى ط ٦ مكتبة النهضة المصرية ١٩٨١ ، محاضرات فى مقارنة الأديان الشيخ محمد أبو زهرة — مطبعة يوسف — مصر .

العربى ، وقد ظهر هذا جلياً فى مجتمع الرسول ﷺ ، حيث كان بلال وصهيب وسلمان الفارسى كلهم من الأعاجم ، فبلال حبشى وصهيب رومى وسلمان فارسى ، وكانوا أفضل من كثيرين من أشراف مكة وساداتها أمثال أبى جهل وأبى لهب وعقبة بن أبى معيط ، وكذلك كثير من المستضعفين أمثال ياسر وعمار وعبد الله ابن ياسر وخباب وابن مسعود أصبحوا أيضاً خيراً من عظماء الكفار ، لا بشىء إلا بالعمل الصالح .

وقد علم النبى ﷺ أصحابه وأمته المساواة فى ظل الإسلام، وقد ضرب المثال بنفسه حيث لم يتميز على أصحابه بشىء فعلى الرغم من أنه كان بإقرار الجميع — أعظم البشر ، فقد عد نفسه مجرد عضو عادى من أعضاء الجنس البشرى بعامة « قل إنما إنا بشر مثلكم » .

سورة فصلت ، الآية : [٦]

وللرجل والمرأه ، والسيد والخادم ، والملك والرعية لهؤلاء جميعاً حقوقهم المتبادلة، وهذه المساواة بين الإنسان والإنسان لم تشكل موضوعاً للعظات اللفظية فحسب ، بل طبقت بكثير من الدقة فى الحياة اليومية أيضاً ، فهى تطبق فى الصلاة وفى الحقوق المدنية ، وهو مبدأ حرص النبى ﷺ على إظهاره ، فأمر زيد بن حارثة عبده المعتق على جمهرة من القرشيين المعتزين بأحسابهم »[1] .

وفى هذا يقول النبى ﷺ ، محارباً الفخر بالأحساب والعصبية الجاهلية « إن الله عز وجل ، قد أذهب عنكم عبية الجاهلية (الكبر والتعاظم) وفخرها بالآباء ، مؤمن تقى وفاجر شقى ، أنتم بنو آدم وآدم

(١) مولانا محمد على ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧

من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان ، التى تدفع بأنفها النتن[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية »[٢] .

ومن هنا يتضح لنا كيف أذاب ﷺ فروق الألوان ، واختلافات الألسنة ، وساوى بين وضاعة المنشأ ورفعة المحتد ، وهدم كافة الفوارق غير الفطرية بين الإنسان والإنسان ، وسوى بين بنى آدم من حيث آدميتهم .

وقد طبق النبى ﷺ قوانين المساواة على نفسه فى تزوجه زينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة خادمه أولا ، ومتبناه بعد ذلك[٣] .

وطبق هذه القوانين أيضاً على بيته وآل بيته قبل الناس ووضح ذلك من خطبته فى حجة الوداع والتى قال فيها : « وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا ، وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان

---

(١) صحيح مسلم — ج ٣ كتاب الإمارة — باب ملازمة جماعة المسلمين ص ١٤٧٨ ط عيسى الحلبى — تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

(٢) المرجع السابق — الصفحة نفسها .

(٣) راجع كتاب : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير — ا . د / محمد بن محمد أبو شهبة — ص ٤٥٥ وما بعدها ط ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م .

فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم بن ربيعه بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان مسترضعاً فى بيت ليث فقتله هذيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية »[١] .

هذا هو الإسلام يقيم المساواة أساساً من أسس العلاقات العامة الإسلامية ، ليكون المسلمون إخوة متحابين متآلفين تجمعهم علاقات سليمة بفضل المساواة ، فالمجتمع الإسلامى هو أقوى مجتمع رفيع عرفه العالم ، لا فرق فيه بين الفرد والآخر من لون وجنس إلا بالعمل الصالح وتقوى الله ، وارتباط الفرد بالمجتمع واضح وسليم والعدالة مكفولة للجميع »[٢] .

وقد رأينا ممارسة الرسول صلى الله عليه وسلم للمساواة ، وحثه عليها ونشرها فى مجتمعه الإسلامى فى المدينة ، الذى هو المجتمع الأسوة للمسلمين فى كل زمان ومكان .

---

(١) ابن هشام أبو محمد عبد الملك (السيرة النبوية ، الجزء الرابع ، ص ١٨٥ (م ، س)

(٢) محمد عزت الطهطاوى ، مرجع سابق ، ص ٣٠٢

٤ — الحلم والعفو والتواضع :

الحلم والعفو والتواضع من الصفات التى حلها النبى ﷺ لأصحابه والتى حث عليها القرآن الكريم . قال تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

سورة آل عمران ، الآية : (١٣٣ ، ١٣٤)

وقال تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » . سورة فصلت ، الآية : (٣٤ ، ٣٥)

وقال تعالى : وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » . سورة الفرقان ، الآية : (٦٣) .

ومن حلم النبى ﷺ ما قاله عنه أنس بن مالك خادمه يصفه فى حلمه ، ورواية أنس لها اعتبارها فى وصف حلم النبى ﷺ ، حيث هو الملازم له عشر سنين ، وحيث يكثر غضب الإنسان دائماً على خادمه ، فإذا كان عفواً مع خادمه فكيف به مع بقية الناس؟ يقول أنس . كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ، فأرسلنى يوماً لحاجة ، فقلت : والله لا أذهب ـ وفى نفسى أن أذهب لما أمرنى به رسول الله ﷺ . قال : فخرجت ، حتى أمر على صبيان يلعبون فى السوق ، فإذا رسول الله ﷺ قابض بقفاى من ورائى فنظرت إليه وهو يضحك فقال « يا أنس اذهب حيث أمرتك » قلت : نعم أنا ذاهب يا رسول الله . قال أنس : والله لقد خدمته سبع سنين أو تسع سنين ، ما علمت قال لشىء صنعت لم فعلت كذا وكذا ، ولا لشىء تركته هلا فعلت كذا »[1] .

(١) سنن أبى داود — ج ٤ مرجع سابق ص ٢٤٦

وفى رواية أخرى قال أنس : « خدمت النبى ﷺ عشر سنين بالمدينة ، وأنا غلام ليس كل أمرى كما يشتهى صاحبى أن أكون عليه ، ما قال فيها أف قط ، وما قال لى لم فعلت هذا ؟ أو ألا فعلت هذا ؟ »[1] .

كان هذا حلم النبى ﷺ ، ولولا هذا الحلم ما استطاع أن يسوس شعباً كالعرب يأنف أن يطيع أو ينصاع أو يجرح[2] .

وصدق الله العظيم إذ يقول « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله » .

سورة آل عمران ، الآية : (١٥٩)

وأما عفو النبى ﷺ فقد شمل الأصحاب والأعداء ، وشمل أكثر الناس إساءة إليه ، ولا أدل على ذلك من عفوه عن أهل مكة يوم الفتح ، فقد أخرجوه بعد أن آذوه هو وأصحابه ، وحاربوه فى المدينة فى بدر وفى أحد وفى الخندق ، ثم هو يدخل مكة رافعاً شعاراً عظيماً « اليوم تعظم الكعبة » ثم يقول للمكيين بعد أن سألهم « ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم » . فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء »[3] .

« وبعد الفتح وفدت زوجة عكرمة بن أبى جهل فى حال من الأسى البالغ تلتمس العفو عن زوجها ، ومنح النبى ﷺ عكرمة العفو أيضاً »

(١) سنن أبى داود ، الجزء الرابع ، مرجع سابق ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧

(٢) سعيد حوى ، الرسول ، الطبعة الرابعة ١٩٧٧ ص ١٤٣

(٣) السيرة النبوية — ابن هشام ج ٤ ص ٤١

وأسبغ الرسول رأفته السخية كذلك على وحشي قاتل حمزة ، عمه الحبيب، وعلى هند التي مضغت كبده[١] .

والواقع أن تاريخ العالم ليعجز عن تزويدنا النظير لهذا الصفح الكريم الذي أغدقه الرسول ﷺ على أمثال أولئك المجرمين الكبار .

إن الضرب على وتر الموعظة الداعية إلى الصفح والغفران لا يكلف المرء شيئاً كثيراً ، ولكن عفو المرء عن معذبيه هو ليحتاج إلى قدر من الشهامة عظيم، وبخاصة حين يكون أولئك المعذبون تحت رحمته »[٢] .

«وقد عفا النبي ﷺ عن أبي سفيان بن الحارث بن المطلب وعبدالله بن أبي أمية ابن عمته، وكانا من أكثر الناس إيذاء له ، وعفا كذلك عن عبد الله ابن أبي رأس النفاق في المدينة»[٣] ، وهذه أمثلة ليهتدي المسلمون بهديها ، ويتخلقوا بأخلاق النبي ﷺ الذي هو قدوتهم وأسوتهم، فتكون حياتهم وسلوكياتهم مليئة بالعفو والصفح ، فلا يصح بينهم مكاناً للشحناء أو البغضاء أو انقطاع العلاقات الحسنة ، وما أروع رجالات الدعوة إلى الله تعالى لو تأسوا برسول الله ﷺ !

أما التواضع ، فكان سمة بارزة ظاهرة في حياة وأخلاق رسول الله ﷺ ، فقد كان في معاملته لخدمه متواضعاً ، وفي بيته متواضعاً ، ومع أصحابه متواضعاً ، « فقد كان رسول الله يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويلزم أهل المروءة في أخلاقهم ، ويستأنس أهل الشرف بالبر لهم ، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل ، لا يجفو على أحد ،

(١) السيرة النبوية ج ٤ ص٢٩ مرجع سابق .
(٢) مولانا محمد علي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧
(٣) السيرة النبوية ج ٤ ص٣١ (م . س) .

يقبل معذرة المعتذر ، ولا يتفضل على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس »[١] .

ويعلم النبي ﷺ أمته التواضع فيقول : « أوحى الله إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد »[٢] . وقال ﷺ « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »[٣] .

وعن الأسود بن يزيد قال : سئلت عائشة رضي الله عنها : ما كان النبي يصنع في بيته ؟ قالت كان يكون في مهنة أهله — يعني خدمه أهله — فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة[٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم » قال أصحابه : وأنت ؟ قال « نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة »[٥] .

(١) ابن حزم ، أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد ، جوامع السيرة ، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد (دار المعارف) ، القاهرة ، (ب . ت) ص ٤٣
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه — ج ٤ — ص ٢١٩٨ — ٢١٩٩ — كتاب الجنة — باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار .
(٣) صحيح مسلم - ج ٤ - ص٢٠٠١ كتاب البر - باب استحباب العفو والتواضع .
(٤) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٩٩
(٥) صحيح البخاري - ج ٣ - ص ٨٨ كتاب الإجارة - باب رعي الغنم على قراريط - المطبعة الخيرية .

مما سبق يتضح لنا أن الإسلام قد وضع أسساً للعلاقات العامة الإسلامية تجعل المسلم دائم المحبة لغيره من الناس ، ولو لم يكونوا مسلمين، فالمساواة والحلم والتواضع والعفو من تلك الأسس السامية ، والتى مارسها النبى ﷺ كأفضل ما تكون الممارسة ، وتخلق بها قبل أن يدعو الناس إليها ، وذلك لأنه قدوة المسلمين وأسوتهم ، وقائدهم إلى طرق الخير والفلاح ، ولعل ذلك يذكرنا بقول الشاعر .

وليس يصح فى الأفهام شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

• — العدل والوفاء بالعهد :

أمر القرآن الكريم بالعدل فى الحكم ، والعدل فى الشهادة ، والعدل فى القصاص ، والعدل فى كل شىء ، وكل أمر من أمور وأحوال المسلمين .

قال تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » . سورة النساء ، الآية (٥٨) .

وقال تعالى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً » سورة النساء ، الآية : (١٠٥) .

وأمر بالعدل فى الشهادة فقال تعالى : يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » . سورة النساء ، الآية : (١٣٥) .

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » . سورة المائدة ، الآية : (٨) .

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل » .

سورة البقرة ، الآية : (٢٨٢) .

ويأمر بالعدل أمام حدود الله ، وفى القصاص فيقول عز من قائل : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » . سورة البقرة ، الآية : (١٧٨) .

وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد فقال : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا » . سورة الإسراء ، رقم الآية : (٣٤) .

وقال تعالى : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » .

سورة النحل الآية : (٩١) .

وقال تعالى : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا »

سورة الأنعام ، الآية : (١٥٢) .

ويمدح الصادقين فى عهدهم فيقول : « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

سورة الأحزاب ، الآية : (٢٣) .

ويذم الله الذين ينقضون العهد ولا يحترمونه فيقول : « وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين » .

سورة الأعراف ، الآية : (١٠٢) .

وقال تعالى : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك

لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم » . سورة آل عمران . الآية : (٧٧) .

وبذلك نرى الإسلام يرسى فى دستوره — القرآن — هذا الأساس من أسس العلاقات العامة الإسلامية ويهتم به أيما اهتمام، وسنرى بعد ذلك ممارسة الرسول ﷺ لهذه الأسس، حيث إن ذلك بمثابه التطبيق العملى الأمثل للتشريعات الإسلاميـــة السماوية، لنبسط أسس العلاقات العامة الإسلامية، أمام المسلمين قولا وعملا، أو نظرية وتطبيقاً، ليسهل عليهم عملية تطبيقها وتنفيذها وممارستها فى حياتهم .

يقول النبى ﷺ : « أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ؛ (أولهم) إمام عادل »[2] .

وقد رأينا عدل النبى ﷺ فى خطبته فى حجة الوداع ، حيث يضع ربا عمه العباس ، وحيث يضع دم أبى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

«وروى أن النبى ﷺ استدان وسقاً من تمر من أحد أعراب المدينة ولما حان وقت السداد أمر النبى ﷺ أحـــد أصحابه أن يدفع الثمن إلى

(١) صحيح مسلم ج ١٠ ص ٣١٤ باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه — كتاب الصلاة — ج ١ — باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة ص ١٢٣ .

الأعرابى ، ولماعرض التمر على الأعرابى لم يرض به ، وقال إنه من نوع ردىء لا يماثل ما أخذه منه النبى . فقال له الصحابى : ويحك أترده على رسول الله . قال الأعرابى : نعم ومن أولى بالعدل منه ؟ ولما بلغت هذه المقالة رسول الله ابتسم وقال : « نعم ومن أولى بالعدل منى » ثم أمر أن يدفع إلى الأعرابى وسقاً من أجود تمر المدينة ، ثم قال « إنه لا تقدس أمة لا يأخذ ضعيفها الحق من قويها »[1] .

ومن الأمثـــلة الشهيرة قصة المخزومية التى سرقت فقطع النبى ﷺ يدها،ولم يقبل شفاعة أسامة بن زيد قائلا : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »[2] فقد كان ﷺ نبراساً أعلى فى العدل ، سواء فى قوله أو فى عمله ، وكان يراعى العدل فى كل صغيرة أو كبيرة ، وكان عادلا حتى على نفسه .

وأما الوفاء بالعهد فقد كان النبى ﷺ المثل الأعلى والقدوة الحسنة،

ومن أمثلة ذلك أنه التزم ببنود معاهـدة الحـــديبية أو صلح الحديبية « بينما رسول الله ﷺ — كتب الكتاب — فى صلح الحديبية — هو وسهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو مقيداً بالحديد، قد انفلت إلى رسول الله ، « يريد أن ينضم إلى صفوف المسلمين بعد أن أسلم » فلما رآه سهيل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلابيبه ، ثم قال يامحمد

(١) حسن الحفناوى ، محمد والعقل، الطبعة الأولى (مطبوعات الشعب القاهرة ، ١٩٧٥ ص ٦٥

(٢) صحيح البخارى ج ٨ كتاب الحدود — باب كراهية الشفاعة فى الحد إذا رفع إلى السلطان ص ١٩٩ ط الشعب

قد لجت — انتهت — القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هـذا . قال « صدقت » فجعل يجذبه ويرده إلى قريش . وأبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يامعشر المسلمين ، أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ « يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجاً ، إناقد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم »[1] .

وتمسك النبى ﷺ بمعاهدة الحديبية بعدها ، كما تعهد بها فى حداثتها فلم يغدر أبدا ومن ذلك « أن أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد ، وكان ممن حبس بمكة فأرسل الأخنس بن شريق وزاهر بن عبد عوف كتابا إلى النبى ﷺ يطلبان رد أبى بصير مع حاملى الرسالة ، فقال رسول الله ﷺ لأبى بصير « يا أبا بصير إنا قد أعطينا القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً » ، وسلم أبا بصير للرجلين فقتل أحدهما وعاد إلى النبى ﷺ ولكنه رفض إقامته فى المدينة ، فخرج حتى نزل العيص على ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وخرج المسلمون الذين كانوا حبسوا بمكة إلى أبى بصير حتى اجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، وكانوا يضيقون على قريش ، فلا يظفروا بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر عليهم عير إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش

(١) السيرة النبوية — ابن هشام — قدم لها وعلق عليها : طه عبد الرؤف سعد — الجزء الثانى — مكتبة الكليات الأزهرية ص ٢٠٤

إلى الرسول ، تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم . فآواهم رسول الله فقدموا المدينة »[1] .

وهكذا الوفاء ، فلو كان رد أبا جندل لأنه فى مكة ، فلم رد أبا بصير وهو فى المدينة وسط أصحابه وقوته ، بل ولم يقبل المستضعفين إلا بكتاب من قريش ورجائهم ، وهذا يعلم به النبى أمته عدم الغدر والالتزام بالعهد إذا قطعه الإنسان على نفسه ، وهذا من أهم أسس العلاقات العامة الإسلامية ، حيث العدل فى الحكم والشهادة والقصاص يجعل المحبة موجودة بين الجميع حكاماً ومحكومين ، والوفاء بالعهد يديم العلاقات بين الأفراد والأمم ، فالظلم والغدر من أكثر الأشياء التى تقطع العلاقات على جميع المستويات الفردية والجماعية والمحلية والدولية .

٦ — التشريعات المبينة للحدود والحلال والحرام :

كان من أهم أسس العلاقات العامة الإسلامية أيضاً تلك الشرائع التى نزلت من عند الله سواء فى القرآن أو فى سنة النبى ﷺ ، فهذه الشرائع وحدت المسلمين ، فليس منها أشياء لعامة الناس وأخرى لخاصتهم وإنما الصلاة والزكاة والحج والصوم وجميع الفرائض الشرعية مكلف بها جميع الناس دون أى اعتبار ، وهذا يوحد المجتمع الإسلامى والمجتمعات الإسلامية ، ويوجد روابط وعلاقات حسنة بينها .

فالصلاه تجمع الجميع فى المساجد ، ومن المساجد — وفيها تنبع العلاقات العامة الإسلامية — حيث يعرف الناس بعضهم ويتزاورون

(١) المرجع السابق ص ٢٠٧

ويسألون عن المتغيب والمريض ، وحيث يتبادلون وجهات النظر ويتشاورون .

والزكاة تربط الغنى بالفقير برباط المحبة والمودة ، والرحمة وتبادل المشاعر الطيبة ، وتقضى على الحسد والأحقاد ، والصوم كذلك يجعل المجتمع الإسلامى كله يعيش أياماً روحانية ، فى جو موحد ، والحج مؤتمر دولى إسلامى يجمع الناس القادرين من العالم كله فى زمان واحد ومكان واحد وبزى موحد ، ويؤدون مشاعر ومناسك موحدة ، فهى أسس لعلاقات عامة دولية .

ومن شرائع الإسلام التى تربط بين المسلمين أيضاً وتجعل علاقاتهم حسنة ، تلك الأحكام التى تحرم الغيبة والنميمة والكذب ، والبهتان وتلك الحدود المبينة للحلال والحرام ، والمبينة للأحكام الشرعية المعينة كالقتل الخطأ ، حيث حدد الإسلام له حدوداً تجعل المسلمين المؤمنين بالقرآن الكريم والمحبين له والملتزمين بأحكامه ، دائماً إخوة حتى ولو حدث شىء يعكر الصفو كالقتل الخطأ ، حيث أوجب دفع الدية لأهل القتيل إلا أن يصدقوا . قال تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما »[1] ، هذا جزاء القتل الخطأ ، أما القتل العمد فقال فيه : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما »[2] .

(١) سورة النساء ٩٢ (٢) سورة النساء ٩٣

ومن شرائع الإسلام التى تربط بين المسلمين أيضاً ، وتجعل علاقاتهم حسنة . حد الزنا .

فالزنا جريمة الجرائم ، وقمة الانحلال والانحراف ، وعنوان الفساد والفجور ، وهو سبب لأغلب جرائم القتل ، ولانتشار الأمراض الخطيرة ، التى تفتك بالأبدان ، وتنتقل بالوراثة إلى الأولاد ، وهو قتل للنسل ، لكونه إراقة لمادة الحياة فى غير موضعها ، ويتبع ذلك الرغبة فى التخلص من الجنين قبل أن يتخلق ، أو بعده ، أو بعد مولده ، فإذا ترك للحياة بغير قتل ، ترك لحياة التشرد والشر ، أو لحياة المهانة والضياع والجريمة ، وفيه أيضاً إضاعة للأنساب ، وضعف للثقة فى العرض والولد بين الزوجين ، فيتحلل المجتمع ، وتتفكك روابطه ، وهو من جانب آخر قتل لهذا المجتمع ، فإن سهولة قضاء الشهوة عن طريقه يجعل الحياة الزوجية لا داعى لها ، ولا ضرورة لوجودها ، وتحمل مشاقها وأعبائها ، والأسرة هى الحصن الطبيعى للذرية السليمة وهى الحضن الدافىء لتربية الأولاد ، تربية طاهرة عفيفة .

والزنا هادم لكيان الأسرة ، مقوض للبيوت العامرة ، ولذا كانت عقوبته فى الشريعة من أقسى العقوبات ، حتى تكون رادعة زاجرة ، وكافية أو مخففة من انتشار هذه الآفة الاجتماعية الخطيرة ، فالزانى يقتل رجماً بالحجارة إن كان محصناً ، ويجلد مائة جلده إن كان غير ذلك ، وقتله ليس عادياً ، وإنما يرجم كما ترجم الكلاب العقور ، وجلده كذلك ليس عادياً ، وإنما يجلد أمام طائفة من المؤمنين وعلى مرأى من الناس ومسمع منهم ، ليعتبر الجانى وينزجر ، وتلصق باسمه هذه الفضيحة ، ويعتبر به غيره .

« وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (النور : آية : ٢) وحتى مجرد العطف والرأفة على الزانى لا ينبغى أن يصدرا عن مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، فإن الله تعالى نهى عن الانسياق وراء عاطفة الرحمة والشفقة بالزانى . حتى لا تتعطل حدود الله ، أو يخفف الحد أو ينقص منه ، فإنه هو سبحانه الذى فرض هذا الحد ، وأوجب هذه العقوبة ، وشرع هذا القانون ، لإصلاح عباده ، وهو تعالى أرحم بهم من أنفسهم ، وأعلم بما يصلحهم ، ويحقق أمنهم وسعادتهم ، فيجب أن ينفذ تشريعه بحزم وإصرار .

ومن شرائع الإسلام أيضاً التى تربط بين المسلمين وتجعل علاقاتهم حسنة ، حد القذف .

إن الإسلام فى كل ما جاء به من أحكام وتشريعات يهدف إلى إقامة مجتمع فاضل ، آمن مطمئن وسعيد ، تسود فيه المحبة والأخوة والمساواة ، وترفرف عليه ألوية التعاطف والتراحم ، والتعاون على البر والتقوى ، وينعم أفراده بالسلم والإيثار ، وبطاعة الله ورضوانه ، مجتمع تختفى منه الأحقاد والحسد والأضغان ، والعداوة والشحناء ، والتعاون عل الإثم والعدوان ، والتعاظم والاستغلال ، وكل ما يدعو إلى الغلظة والجفوة ، والنفور والكراهية ، مجتمع يذكرنا بأننا جميعاً أبناء أب واحد وأم واحدة ، لا تفاخر فيه ولا تميز إلا بالتقوى والعمل الصالح ، مجتمع يحب فيه كل منا لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، ويكون المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، من أجل تحقيق هذا المجتمع المثالى السعيد أوجب الله تعالى على عباده التخلق بالأخلاق الكريمة الفاضلة ، التى تجعلهم أمة واحدة ، وجسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وحرم عليهم الفواحش

ما ظهر منها وما بطن ، وكل قول أو عمل يؤدى إلى التفرقة والحقد والكراهية ، وفصل لنا فى كتابه العزيز كيف يكون القول الطيب ، والعمل الصالح الذى يقبله ويرضى عنه ، ويرفعه إليه ، ويشبه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، والكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة ، اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، فلا ثمر لها ولا ظل . ومدح صفوة خلقه ، وسيد أنبيائه ورسله ، محمداً صلوات الله وسلامه عليه بأنه على خلق عظيم ، وحصر سبحانه رسالة الإسلام ، وأوضحها على لسان نبيه ، فى قوله ﷺ .

(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[1] .

ونادى رسوله الكريم بأن أقرب المؤمنين إليه منازل فى الجنة أحاسنهم أخلاقاً الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون ، ونفى عن المؤمن أن يكون طعاناً أو لعاناً أو فاحشاً بذيئاً .

نقول : من أجل هذا كله حرم الله علينا القذف ، ورمى المسلم بالزنا ، وجعل عقوبة القاذف اللعن والطرد من رحمته فى الدنيا والآخرة ، وتوعده بالعذاب العظيم ، وأوجب عليه أن يعاقب بعقوبات ثلاث ، لم يجمعها على مقترف حد سواه ، فعاقبه بعقوبة بدنية مادية وهى الجلد ثمانين جلدة ، وعقوبة أدبية معنوية وهى رد شهادته واعتباره ساقط العدالة ، وعقوبة دينية وهى دمغه بالفسق والخروج عن طاعة الله ، وعده النبى ﷺ مرتكبا موبقة من السبع الموبقات المهلكات حتى تنقطع ألسنة السوء ، والولوغ فى الأعراض ، ويزول هذا الداء الوبيل ، وينفر الناس من

---

(١) موطأ الإمام مالك - ج ٢ حديث رقم ٨ ص ٩٩٤ - باب ما جاء فى حسن الخلق - عن أبى هريرة .

رمى أهل العفة والطهر بالفاحشة ، وتطيش سهام الخبثاء فى إشـاعة الفاحشة .

ومن شرائع الإسلام أيضاً التى تربط بين المسلمين وتجعل علاقاتهم حسنة — حد شرب الخمر .

فلقد خلق الله الإنسان ونفخ فيه من روحه ، وكرمه وفضله على كثير ممن خلقه ، وجعله خليفته فى أرضه ، وسخر كل مافى السموات وما فى الأرض لمنفعته ، ويسر له سبل الهداية إلى سعادته فى دنياه وآخرته ، ووهب له العقل ، وميزه بالتفكير ؛ ومكنه به من السيطرة والانتفاع بما أوجده له على هذا الكوكب الأرضى ، وهذا العقل مناط الخطاب والتكليف ، فمن فقده فقد ميزة الأنسنة . ورفع عنه القلم ، والتحق بالأنعام .

ومن أجل الحفاظ على هذه الجوهرة النفيسة ، وهذه الهبة الإلهية السامية حرم الله على الإنسان كل مايؤدى إلى إزالة هذا العقل ، أويوهنه من الخمور والمخدرات — والخمر أم الخبائث ، ومن أكبر الكبائر ، كما أخبرنا المعصوم صلوات الله وسلامه عليه فى حديثه الذى رواه عنه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

« الخمر أم الفواحش ، وأكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع على أمه وخالته وعمته »(١) .

والخمر من أكبر أسباب الجنون ، وحوادث القتل والمصادمات بين السيارات ومخالفات قواعد المرور .

---

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير جـ ١١ ص ١٦٤ - حديث رقم ١١٣٧٢ عن ابن عباس - ط ٢ - تحقيق حمدى عبد المجيد .

« والمفسدة التى فى شرب الخمر والضرر المختص بها والتعدى الناشىء عنها ، أضعاف الضرر والمفسدة التى فى شرب البول وأكل القاذورات فإن ضررها لا يتعدى متناولها ، وشارب الخمر يفسد نفسه ويطرح عقله ، وينفلت من حدود آداب اللسان وآداب السلوك والنظر ؛ وشاربها يبدأ فى السير بالمقدمة التى لانتيجة لها إلا الوقوع فى جميع المعاصى القولية والفعلية ، فهو يفسد مجتمعه . ويتعدى عـلى حرمات غيره ، ويتجاوز حدود نفسه ، ويخوض فى حقوق الآخرين ، ويخرق نواميس الفطرة القاضية بالحفاظ على العقل والإدراك ، اللذين يشكلان أساس إنسانية الإنسان ، وميزان سموه وترفعه وترقيه ، وشارب الخمر يتعدى حدود الله بفقدان التمييز بين الحقوق والفرائض والواجبات الشخصية والاجتماعية والتعبدية على حد سواء »(١) .

إن المعاصى والذنوب تضر الإنسان ضرراً كبيراً ، وضررها فى القلوب أشد من ضرر السموم فى الأبدان ، أما ضررها على الجماعات والقيم والأخلاق فهو أشد فتكاً وتدميراً من أحدث الأسلحة التى عرفها العلم الحديث .

والخمر تميت الحياء فى الجنس البشرى ، والحياء سياج الأخلاق ، وأساس التدين ، ولا دين لمن لا حياء له ، وهى مضيعة للأعمال ، ومدعاة للبغضاء والتنابذ والكراهية ، وقطع للأرحام ، وضياع للأنساب ، وهتك لأستار المروءة ، وامتهان للشرف ، وإهدار للكرامة الإنسانية . وسبيل إلى العزلة عن الناس ، وإنهاك للقلب والبدن ، بل هى لهما أشد فتكاً من

---

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين - ابن قيم الجوزية جـ ٢ ص ١٠٣ راجعه وقدم له طه عبد الرؤف سعد مكتبة الكليات الأزهرية — بتصرف

الوباء ، والخمر تجر إلى الخور ، وتورث المذلة ، وتؤدى إلى الشؤم الشامل ، والنقمة التى لا تختص بالمتعاطين دون غيرهم.

وفى قصص المخمورين وجرائم السكارى ، وحوادث السيارات والمرور التى تملأ حياة المجتمع الحديث من العبر والموعظة ما يدعونا إلى الاعتبار والتذكر والتبصر .

ومن شرائع الإسلام كذلك والتى تربط بين المسلمين وتجعل علاقاتهم حسنة ؛ حد السرقة[1] .

والسرقة حرمها الله تعالى فى كل رسالاته إلى البشر،وكانت عقوبة السارق قبل الإسلام استرقاقه وامتلاك المسروق منه لرقبته ، بحيث يصبح السارق رقيقا له ومالا من أمواله ، يتصرف فيه كما يشاء ، وحينما يجىء الإسلام ويقرر تخفيف عقوبة السارق ولا يجعل رقبته ملكا للمسروق منه — وإنما يأخذ منه العضو الآثم ويقطع يمينه — تقوم قيامة أعداء الإسلام ، ويتهمونه بالقسوة والغلظة،ويرون عدم ملاءمة هذه العقوبة الوحشية للحضارة والمدنية ، وإنها لا تتفق وما وصلت إليه الإنسانية من تقدم ورقى . كأن المدنية والإنسانية توجبان علينا مقابلة السارق بالتشجيع والمكافأة على جريمته ، وعلى السير فى طريق السطو والغواية ، وكأنهما توجبان كذلك علينا أن نعيش دائما فى رعب وقلق وخوف على أموالنا وأنفسنا ، وأن يشقى الكادحون فى العمل وجمع المال لينعم به السادة اللصوص وعتاة المجرمين .

أما استرقاق السارق وإهدار آدميته وإلحاقه بالبهائم فلا قسوة فيه ولا وحشية ، وإنما هو عين الحضارة والشفقة والحنان ، ألا تباً لهذه الحضارة وسحقا لهذه المدنية التى تقلب الحقائق ويعميها التعصب عن النور والعدالة .

(١) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٢٦ — بتصرف .

إن حضارة هؤلاء الغربيين وغزوها للشرق الإسلامى نجحت فى إبعاد المسلمين عن تطبيق شريعة السماء ، وإلغاء الحدود الشرعية واستبدال السجن أو الحبس بها،فماذا كانت النتيجة لهذا الإبعاد والتقليد الأعمى ؟ هل نجحت العقوبات فى القوانين الحديثة فى القضاء على الجريمة والمجرمين ، ووفرت الأمن والطمأنينة والاستقرار للمواطنين ؟ أو أن الأمر ازداد سوءاً و الجرائم انتشاراً والمجرمين عتواً وسطوة ؟

إن السر فى نجاح الشريعة يكمن فى أن عقوباتها وضعت على أساس طبيعة الإنسان ، وطبيعته تلازمه فى الخير والشر ، فى الأعمال المباحة والأعمال المحرمة ، فلا يرتكب الجريمة إلا لما ينتظره من منفعة ، ولا ينتهى عن الجريمة إلا لما يخشاه من مضارها ، فكلما اشتدت العقوبة ابتعد الناس عن الجريمة ، وكلما خفت العقوبة تزايد إقبالهم على الجريمة ، وكلما نظرنا إلى الجريمة دون المجرم أيس المجرم ، فلا يطمع فى استعمال الرأفة ، ونأى بجانبه عن الجريمة ، وسلك طريق الاستقامة .

وقد استغلت الشريعة طبيعة الإنسان ، فوضعت على أساسها عقوبات الجرائم عامة ، وعقوبات جرائم الحدود والقصاص خاصة ، ونظرت فى الجرائم الأخيرة إلى الجريمة دون المجرم ، على اعتبار أن هذه الجرائم تعد من الخطورة بمكان ، ولأنها تمس كيان الجماعة ونظامها ، فالتساهل فيها يؤدى إلى أسوأ النتائج ، والتشدد فيها يؤدى إلى قلة وقوع هذه الجرائم .

ومن شرائع الإسلام أيضاً والتى تربط بين المسلمين وتجعل علاقاتهم حسنة ؛ حد الحرابة .

والحرابة أو قطع الطريق أو السرقة الكبرى أسماء لمعنى واحد .

وقطاع الطريق هم عصابات من عتاة اللصوص والقتلة الفارين من العدالة والهاربين من السجون ، يأوون إلى الجبـــال أو الصحارى أو الطرقات العامة أو زراعات القصب الشاسعة ، يخيفون المارة ، ويستولون على أموالهم ، ويعتدون على أرواحهم وأعراضهم ، ويتلفون المزارع ، ويخطفون الحيوانات .

ويعد من قطاع الطرق هؤلاء الشبان المنحرفون ، الذين يخطفون الفتيات من الشوارع والطرقات ، ثم يعتدون على أعراضهن أو أموالهن أو أرواحهن .

ويسمى الإمام مالك هذا النوع من الجنايات « الغيلة »[1] وهو نوع من الحرابة ، وقد أنزل الله فى قطاع الطرق قوله تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم * إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم » سورة المائدة [٣٣-٣٤]

وقد يظن بعض الناس خطأ أننا لو طبقنا الحدود الشرعية فسيكون الشغل الشاغل للدولة رجم الزناة ، وقطع الأيدى والأرجل ، وجلد القذفة وشاربى الخمور ، وسفك دماء البغاة والخارجين عن الشريعة ويصبح كثير من الشعب شائهين عاجزين عن العمل .

وهذا — لاريب — وهم خاطىء ، مخالف للواقع فإن قطع بعض

(١) « تلك حدود الله » ـ الشيخ إبراهيم أحمد الوقفى — ص ٢٦٠ طبع على نفقه الشئون الدينية بدولة قطر ط ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

الأيدى ، أو جلد بعض الأفراد كفيل بالقضاء على دابر هذه الجرائم المروعة ، وإغلاق أغلب السجون ، وتوفير مئات الألوف من الجنيهات التى تنفق عليها فى كل عام ، كما تستريح الآلاف من الشرطة القائمة على حراسة هذه السجون ولا تخسر الدولة إنتاج هؤلاء المنحرفين الذين يقضون السنين الطوال قابعين وراء القضبان .

والآن :

لا أزعم أننى قد تناولت دقائق وتفاصيل هذه القضية (أسس العلاقات العامة فى الإسلام) إذ لا يكفى للتنقيب عن جذورها وتأمل أبعادها ورصد ملامحها مجرد صفحات يسيرة كهذه ، وبالتالى فهى فى حاجة إلى بحوث وأطروحات علمية تستكنه أغوارها وتستقصى أبعادها وتلم أمشاجها المتباينة .

ولست أزعم كذلك أننى أول من خاض غمار هذه القضية أو عبد دروبها ، فقد سبقنى إلى ذلك أساتذة أجلاء وعلماء أكارم ندين لهم جميعاً بالتلمذة ونذكرهم بالتجلة والإكبار ، أشرنا إلى بعضهم فى ثنايا هذا البحث المتواضع وتضاعيفه . فقط أزعم أننى ألقيت بعض الأضواء على ماعساه يمكن أن يكون قد أفلت من بين أصابع الدارسين ، وأسهمت فى تضويء حقيقة أن العلاقات العامة تضرب بجذورها فى أغوار التاريخ الإسلامى ، وليس كما زعم المرجفون أنها وليدة العصر الحديث أو الثورة الفرنسية على أكثر تقدير ، ناقشنا هذه القضية تفصيلا ، وأدلينا فيها بدلونا ، وعمدنا رؤانا بالأدلة النقلية والعقلية ما استطعنا إلى ذلك سبيلا والله أسأل أن يكون ما قدمنا بمثابة خطوة على طريق تستدعى خطا بلا نهاية أو أن يسد ثلمة — ولو صغيرة — فى الصرح العامر لمكتبة الدعوة والإعلام الإسلامى .

أهم المراجع

كتاب الله الخالد :

١ — أديان الهند الكبرى — أحمد شلبي ط٦ مكتبة النهضة المصرية ١٩٨١ م .

٢ — الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي - د / عبد الوهاب كحيل ط أولى ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٥ م.

٣ — أعلام الموقعين عن رب العالمين - ابن قيم الجوزية ط ١٩٧٦ المكتبة السلفية - القاهرة .

٤ — الأسس العلمية للعلاقات العامة - د / على عجوة - القاهرة - ط ١٩٧٧ م .

٥ — الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية - د / محيي الدين عبد الحليم مكتبة الخانجي القاهرة - ط ثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٦ — الإعلام في صدر الإسلام - د / عبد اللطيف حمزة - دار الفكر العربي ط ثانية ١٩٧٨ م .

٧ — الإعلام والاتصال بالجماهير - د / إبراهيم إمام - مكتبة الأنجلو المصرية - ط أولى ١٩٦٩ م .

٨ — تاريخ الأمم والملوك - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المطبعة الحسينية - القاهرة (ب - ت) .

٩ — جوامع السيرة - أبو محمد بن على بن أحمد بن سعيد بن حزم -

تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد دار المعارف - القاهرة - (ب - ت) .

١٠ — حقوق الإنسان في الإسلام — على عبد الواحد وافي ط ٥ — دار نهضه مصر للطبع والنشر - القاهرة ١٩٧٩ م .

١١ — الحكومة الإسلامية — أبو الأعلى المودودي — تعريب أحمد إدريس — ط المختار الاسلامي .

١٢ — حياة محمد ورسالته — مولانا محمد على — ترجمة منير البعلبكي الطبعة الثالثة - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٧ م .

١٣ — الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها - د / أحمد أحمد غلوش دار الكتاب المصري - القاهرة ط ١٩٧٨ م .

١٤ — دعوة الإسلام — سيد سابق — مطبعة المدني — القاهرة — (ب - ت) .

١٥ — الرسول — سعيد حوى — ط ١٩٧٧/٤ م .

١٦ — الرسول وسنته الشريفة د / عبد الحليم محمود سلسلة مجمع البحوث الإسلامية .

١٧ — صحيح البخاري — أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الطبعة الأولى — ١٤١٢ هـ — ١٩٩٢ م — دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان .

١٨ — صحيح مسلم - للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ط عيسى البابي الحلبي — القاهرة .

١٩ — العلاقات العامة والإعلام — محمد طلعت عيسى — ط ٣ مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٣ م .

٢٠ — العلاقات العامة والمجتمع د / إبراهيم إمام — مكتبة الأنجلو المصرية ط ١٩٧٦ — القاهرة .

٢١ — سنن أبي داود — للحافظ أبي داود بن سليمان بن الأشعث السجستاني — ط دار الحديث — القاهرة ١٩٨٨ م .

٢٢ — سنن الترمذي — للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى ابن مردويه — (٢٠٩ هـ — ٢٩٧ هـ) — ط مكتبة مصطفى الحلبي — مصر ١٩٥٦ م .

٢٣ — السيرة النبوية — ابن هشام — قدم لها وعلق عليها طه عبد الرؤوف سعد — مكتبة الكليات الأزهرية ط ١٩٧٤

٤ — سيرة الرسول د / محمد الطيب النجار — مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة . (ب - ت) .

٢٥ — الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير — يوسف النبهاني — مطبعة دار الكتب العربية الكبرى — مصر ،

٢٦ — فجر الإسلام — أحمد أمين — ط ٣ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ١٩٣٥

٢٧ — في الدعوة إلى الاسلام بين غير المسلمين — محمد عزت الطهطاوي، دار التراث القاهرة ١٩٧٩

٢٨ — محمد والعقل — حسن الحفناوي — ط أولى — مطبوعات الشعب القاهرة — ١٩٧٥

٢٩ — المدخل إلى الاستراتيجية العسكرية الإسلامية — محمد جمال الدين محفوظ — الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة ١٩٧٦

٣٠ — مسند الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) المكتب الإسلامي دار إحياء بيروت ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م .

٣١ — مكايد يهودية عبر التاريخ — عبد الرحمن الميداني — ط ٢ دار القلم — دمشق ١٩٧٨ م .

٣٢ — منهج القرآن والسنة في العلاقات الإنسانية . د / مجاهد محمد هريدي ط أولى — مطبعة الأمانة — القاهرة — ١٩٧٨

٣٣ — موطأ الإمام مالك بن أنس — تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب — مصر .

٣٤ — نظرية الإسلام السياسية — أبو الأعلى المودودي ط ١٩٦٩ مطبعه دار الفكر — لبنان .